فهرسة المكتبة الوطنية – السودان

٨٢٦و ٢١١ محمد السيد الخير أبو القاسم
م س. ف
فتح السميع المجيب من قراءة حمزة بن حبيب / محمد السيد الخير أبوالقاسم.- ط١.- الخرطوم : دار السداد ، ٢٠٠٥م
ردمك : ٧-٧٦-٧٤-٩٩٩٤٢
١- القرآن – القراءات
٢- القرآن - رواة.
أ. العنوان

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

قال تعالى:

(وقل ربِّ ارحمهما كما ربياني صغيرا)

إلى أُمي

...وأبي

اللهم اغفر لهما وارحمهما وارض عنهما وارزقهما صحبة رسولك وخليلك محمد

صلى الله عليه وآله وسلم.

آمـــــين

محمد ،،

هذا الكتاب جزء من رسالة دكتوراة بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ،

وقد أشرف عليها :-

الشيخ أ. د . أحمد علي الإمام

وناقشها الشيخ أ.د. يوسف الخليفة أبوبكر

والشيخ أ. د. أحمد خالد بابكر.

وكان من فضل الله وتوفيقه أن حظيت هذه الرسالة بعناية وتوجيه هذه الصفوة من علماء السودان المشهود لهم بالعلم والعمل والصلاح، فلهم ولجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية الشكر السامق والدعاء الصادق . والشكر مبذول وموصول إلى الشيخ الدكتور علي بن محمد توفيق النحاس أحد أعمدة علم القراءات العاملين بمصر العلم والايمان . والذي تلقيت على يديه القراءات العشر المتواترة من طريقي التيسير والشاطبية، والدُّرة..

اللهم لك الحمد كله والثناء كله ، وأسألك يا أكرم الأكرمين ، أن تنفع بهذا الكتاب كما نفعتني بعلم شيوخي وبركتهم ، وأن تتقبله خالصاً لوجهك الكريم .

وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

[illegible]

[illegible] (١)

والحمد رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل خلقة محمد صـلى ا عليـه وعلى أصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

وبعد:

فإنه ليسرني أن أقدم لقراء القرآن الكريم وعلماء القراءات هذا السِفر العظـيم عـن قراءة حمزة بن حبيب الزيات. المتواترة عن صاحب الرسالة محمد صلى ا عليه وسلم.

وهذه القراءة تتميز عن جميع القراءات القرآنيـة بخـصائص انفـردت بهـا دون القراءات الأخرى. كما أن قراءة حمزة قد قل الكتابة بها من قبل المتخصصين فـي القراءات قديماً وحديثاً ، لهذا كانت أهمية هذا الكتاب، الأمر الذي يستوجب الثنـاء على مؤلفه الشيخ الدكتور محمد السيد الخير .

وجهده بحمد ا وتوفيقه قد امتد إلى جميع القراءات وهو ممن يُوثَـق فـي رأيـه وقراءته ومعلوماته التي أهلته إلى أن يجاز في جميع القـراءات بالـسند المتـصل بالرسول الكريم صلى ا عليه وسلم.

وإنني أسأل ا الكريم أن ينفع به وبعلمه ، وأن يجزيه عن خدمة كتاب ا الجـزاء الأوفى حين يقوم الناس لرب العالمين ليروا أعمالهم.

يوسف الخليفة

١- تفضل بكتابته الشيخ أ.د. يوسف الخليفة أبوبكر

أ – الاستهلال [1]

الحمد [2] الذي هو عاصمي	وبه أعوذ[3] وبعد لست أبالي
وأبسملن [4] وأدعون مـثابراً	يارب سدد حجتي ومقالي

---

1 من متن عقيلة الهمزات للمؤلف .

2 الحمد نقيض الذم ، وأعم من الشكر ، والحميد هو المحمود وهو مـن أسـماء ا الحـسنى ، والمحمد الذي كثرت خصاله المحمودة لذا سمي به الرسول ﷺ ، قال الشاعر:

فشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

والحمد رأس الشكر ، كما كلمة الإخلاص رأس الإيمان ، وما شكر ا َ عبـدٌ لا يحمـده وبالحمد بدأت نظمي تيمناً ، فقد بدأ ا قرآنه الكريم وكلامه القويم ب(الحمد) وهـي أيـضاً استفتاح الصلاة وفي صحيح مسلم : (أن عمر ابن الخطاب كان يجهر بهؤلاء الكلمـات يقـول : (سبحانك اللهم وبحمدك ، تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك) صحيح مـسلم حـديث٣٤٩ ص٤٠٠ ، وقال ابن منظور في اللسان : (وفي حديث الدعا سبحانك اللهم وبحمدك أي وبحمـدك ابتدئ) لسان العرب باب حمد ، الجامع لأحكام القرآن ج١ ص٩٢.

3 وثنيت بالاستعاذة با أي بالجؤ إليه والتحصن به وصيغة الاستعاذة المختارة (أعوذ بـا مـن الشيطان الرجيم) وهي من قوله تعالى : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ با مـن الـشيطان الـرجيم) النحل٩٨ . وفي صحيح مسلم : (أن عثمان ابن أبي العاص أتى النبي ﷺ فقال : يا رسـول ا إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يَلبِسُها علي . فقال له رسول ا ﷺ : (ذاك شـيطان يقال له خَنْزَب ، فإذا أحسسته فتعوذ با منه ، واتْفل على يسارك ثلاثاً) حديث ٢٢٠ ص١٣٧٥ .

وأعوذ با ولا أبالي بهذا العدو اللدود ، الذي لا يقدر عليه إلا ا . قال ابـن الجـزري عن الإستعاذة: (فهي التجاء إلى ا تعالى واعتصام بجانبه من خلل يطرأ عليه أو خطـأ يحـصل منه في القراءة وغيرها ، وإقرار له بالقدرة، واعتراف للعبد بالضعف والعجز عـن هـذا العـدو الباطن الذي لا يقدر على دفعه ومنعه إلا ا الذي خلقه ، فهو لا يقبل مصانعة ولا يداري بإحسان ولا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل ...) النشر ج١ ص٢٥٦.

ب – من فضائل القرآن الكريم

ياتالياً قول الإلـه وراجـيـاً	عفـو الكريم القادر المتعالى
ابدأ بتسبيح الإلـه وحمـده	فهما السبيل لصالح الأعمال[1]
أدم الصـلاة على النبي وسلمن	وعلى الصحابة والكرام الآل
وادعُ المجيب تضرعاً، في خـفية	إن الـدعـاء مطية الآمال

** ** **

الضـاد شرفها الإله بـذِكْره	سبقت وحازت جامع الأقوال[2]

تابع ص(1) : 4- والبسملة قولك : (بسم الله الرحمن الرحيم) ، وهي مبتدأ كل عمـل يقـوم بـه المسلم : عند الأكل والشرب والرقية والوضوء ، واستهلال السور وكل عمل ذي بال ، والبـسملة هدي الرسول ﷺ تشهد بذلك الأحاديث الشريفة الكثيرة ومنها قوله ﷺ : (ضع يدك على الذي تـألم من جسدك وقل باسم الله ثلاثاً ، وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر) صحيح مسلم ٢٢٠٢ ص١٣٧٥ . وقوله ﷺ : (يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل ممـا يليـك) البخـاري ٥٣٧٦ ومسلم ٢٠٢٢ .

١ تحث الأبيات قارئ القرآن ، من الإكثار من دعاء الله سبحانه وتعالى ، وتبين آداب الـدعاء : بأن يبدأ بالثناء على الله الخالق الرزاق المنعم ، ثم يصلي على النبي ﷺ وعلى آله ، ثم يدعو بمـا يشاء ، فيستجاب له بإذن الله ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل .. قال رسول الله ﷺ : (إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بما شـاء) صـححه الألباني في صحيح أبي داود برقم ١٣١٤ ، وصحيح الترمذي برقم٢٧٦٧ .

٢ سمت اللغة العربية وازدادت شرفاً بنزول القرآن الكريم بها ، وقد قيض الله لها الجزالة والسعة وتنوع معانيها وتعدد علومها المواكبة ، مما أهلها لتقوم بشرف الإفصاح عـن كـلام الله العلـيم الحكيم، وقد نزل القرآن بسبعة أحرف، اختلف العلماء فيما تعنيه الأحرف السبعة ، ولكن ممـا لا خلاف فيه أن القرآن نزل بها تيسيراً للأمة. ففي ختام حديث عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم في

وتواترت فيها حـ ـ روف سبعة	يُسر وإعجاز وصـ ـدق مقال
وتنوعـ ـ ـت أزهارها وثمارها	فتعـ ـهدتها همة الأجيـ ـال
قد زادها ذاك التّنوع رونـ ـقاً	فتفردت بالحسن والإقبـ ـال
أكرم بها لغة تسـ ـامى قدرها	واستحوذت أسباب كل جمال

** ** **

إن القرآن تدبراً وتأسـ ـياً	ينأي بحامله عن الأغـ ـوال [1]
نور الدنا والقبر خير مدافع	يوم الصراط وظلمة الأهوال [2]
يرقى بتاليه الجنان بقدر ما	يتلو على مهل أو استعجال [3]

قراءة سورة الفرقان كما عند البخاري ج٦ص١١١، وفي صحيح مسلم(٨١٨) : (إنّ هذا القـ ـرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه) .

١ وفي الصحيحين قال رسول ا ﷺ : (الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتـ ـاه) صحيح مسلم ٨٠٨ ص٣١٥ وصحيح البخاري ج٦ ص١٠٤ . والتأسي : الاقتداء .

٢ قال رسول ا ﷺ : (اقرؤا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرؤا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان ، أو كأنهما فرقان من طير صواف . تحاجان عن أصحابهما . اقرؤا سورة البقرة فإن أخذها بركـ ـة وتركهـ ـا حسرة . ولا يستطيعها البطلة.) صحيح مسلم ٨٠٤ .

٣ ، ٤ ، ٥ وفي الحديث الذي رجاله رجال الصحيح كما هو عند السخاوي في جمال القراء وعند أبي عبيد في فضائل القرآن : (إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول : هـ ـل تعرفني فيقول : ما أعرفك ، فيقول أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك . إنّ كل تاجر من وراء تجارته ، وإنى اليوم من وراء كل تجارة ... قال فيعطى المُلـ ـك بيمينـ ـه ، والخلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ويُكسى والده حلتين لا يقـ ـوم لهمـ ـا أهـ ـل الـ ـدنيا

والوالدان يتوجان بفضـ ـله تاجين من ذى الطول والإفضال [٤]

وعليهما من حلة تزرى بما حـ ـوت الدنا من زهرة ودلال [٥]

هـذا جـزاء الوالـديـن فمـا أعـد ا لل ـبر التقـ ـي الـ ـتالي ؟

اخشع بقلبك والجوارح رتلنْ وخـذ الكتـاب بقوة ونـ ـضال [٦]

فيقولان: لم كُسينا هذا ؟ فيقال لهما : بأخذ ولدكما القرآن . ثم يقال له : (اقرأ واصـعد فـي دَرَج الجنة وغرفها . قال فهو في صعود ما دام يقرأ هَذا كان أو ترتيلاً) [جمال القـراء ج١ ص٨٣ ، فضائل القرآن ج١ ص٢٦٧] . والهذ القراءة السريعة . ولفظ فضائل القرآن (إن هذا القرآن يلقـى صاحبه) . والإفضال : الإحسان .. زهرة الدنيا : بهجتها .. الدلال : الوقار .

٦ عن عائشة رضي ا عنها عن النبي ﷺ قال : (مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام . ومثل الذي يقرؤه وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران) صحيح البخـاري ج٦ ص٨٠ تفسير سورة عبس . وعن عبد ا ابن عمر أن رسول ا ﷺ قال : (إنما مثل صـاحب القـرآن كمثل الإبل المعقلة . إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبـت) مـسلم ٧٨٩ ص ٣٠٩ كتـاب الصلاة .

ج – التعريف بالقراء والرواة مدار البحث

الإمام حمزة بن حبيب

هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام الحبر التَّيْمِيّ ، وكنيته أبو عمارة ، ولقبه الزيات لأنه كان يجلب الزيت من العراق إلى حُلْوان . وهو أحد القراء السبعة . ولد سنة ثمانين وأدرك الصحابة بالسن ، ولعله رأى بعضهم .

قرأ القرآن على سليمان بن مهران الأعمش ت١٤٧هـ ، وحمران بن أعين ت١٢٩هـ ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ت١٤٨هـ ، وطلحة بن مصرف ت١٢٢هـ وجعفر بن محمد الصادق[1] وكثير غيرهم ، وقرأ عليه وروى القراءة عنه جمع غفير ، منهم سُليم[2] بن عيسى وهو أضبط أصحابه ، والإمام الكسائي ت١٨٩هـ وهو أجل أصحابه ، وخلف ابن هشام البزار ت٢٢٩هـ ، وخلاد بن خالد الصيرفي ت٢٢٠هـ ، وسفيان الثوري ت١٦١هـ ويحيى بن زياد الفراء ت٢١٧هـ ، ويحيى ابن المبارك بن المغيرة ت٢٠٢هـ .

إليه صارت الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش قال عنه ابن الجزري: "وكان إماماً حجة ، ثقة ثبتاً رضي قيما بكتاب الله بصيراً بالفرائض عارفاً بالعربية حافظاً للحديث، عابداً خاشعاً زاهداً ورعاً قانتاً لله عديم النظير"[3] .

وقال الذهبي عن حمزة : (وكان إماماً حجة ، قيماً بكتاب الله تعالى ، حافظاً للحديث، بصيراً بالفرائض والعربية عابداً خاشعاً قانتاً لله ، ثَخِينَ الورع ، عديم النظير) .

---

١ هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ت ١٤٨هـ .

٢ توفي في عام (١٨٩ – ١٩٩) او ٢٠٠هـ .

٣ غاية النهاية ج١ ص٢٦٣ .

وأخبر الذهبي[1] في معرفة القراء الكبار أن حمزة سمع من أبان بـن أبـي عياش[2] خمسمائة حديث ثم أورد قول حمزة : (رأيت النبي ﷺ في المنام فعرضـتها عليه فما عرف منها إلا اليسير خمسة أو ستة أحاديث فتركـت الحـديث عنـه) ، أخرجه مسلم في صدر صحيحه[3] .

وقال أبو حنيفة لحمزة : (شيئان غلبتنا عليهما لسنا ننازعك فيهما القـرآن والفرائض) ، وقال : (ما قرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بـأثر) وكـان شـيخه الأعمش إذا رآه قد أقبل يقول (هذا حبر القرآن) وقال يحيى بن معين[4] سمعت محمد بن فضيل[5] يقول :(ما أحسب أن الله يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة) ، وقال يحيى بن معين : (حمزة ثقة) .

كان شعيب[6] بن حرب يقول لأصحاب الحديث (ألا تسألوني عن الدر قراءة حمزة) وقال الكسائى عن حمزة : (إمام من أئمة المسلمين ، وسيد القراء والزهاد لو رأيته لقرت عينك به من نسكه) .

وكان حمزة يُقرئ القرآن حتى يتفرق الناس ثم ينهض فيصلي أربع ركعات ثم يصلى ما بين الظهر والعصر و ما بين المغرب والعشاء . وكان لا ينام الليـل ،

---

١ معرفة القراء الكبار ج ١ ص١١ .

٢ إبان بن أبي عياش فيروز البصري قال عنه ابن حجر متروك ت في حدود ١٤٠هـ . تقريـب التهذيب ص٨٧ .

٣ مقدمة صحيح مسلم ٢٥/١ ومعرفة القراء الكبار ج١ ص١١٥ .

٤ يحيى بن معين ثقة حافظ مشهور إمام الجرح والتعديل ت٢٣٣هـ .

5 أبو عبد الرحمن محمد بن فضيل الضبي ، الإمام الصادق الحافظ ، وثقة يحيى بن معين واحتج به أرباب الصحاح وهو من علماء الحديث قرأ القرآن على حمزة ت١٩٥هـ سير أعلام النـبلاء للذهبي ج١ ص(١٧٣ – ١٧٩).

٦ شعيب بن حرب خرساني نزيل مكة عرض على حمزة ت١٩٦هـ وقيل ١٩٧هـ .

يسمع جيرانه قراءته يرتل القرآن . وما شوهد ألا وهو يتلو القرآن ، يبسمل عنـد الفاتحة ثم يَصِلُ بين السورتين فالقرآن عنده كسورة واحدة، وكان يختم في الـشهر خمساً وعشرين ختمة[1] ، وهو القائل : (ولدت سنة ثمانين وأحكمت القـراءة ولـى خمس عشرة سنة) .

أي أنه بعد أن أحكم القراءة ظل عالماً ربانياً يعلم القرآن لأكثر من سـتين عاماً ويختم في كل شهر خمساً وعشرين ختمة فقد مـات رحمـه ا سـنة سـت وخمسين ومائة على أرجح الأقوال[2] .

سُليم بن عيسى

هو سُليم بن عيسى بن عامر بن غالب بن سعيد بن سليم ، بن داود الكوفي ، المقرئ الضابط والمحرر الحاذق ، ويكنى أبو عيسى ، ولد سنة ثلاثين ومائـة . وعرض القرآن على حمزة عشر مرات وهو أخص أصحابه وأضـبطهم وأقـومهم بقراءة حمزة وهو الذي خلفه في القراءة ، قرأ عليه خلق كثير من أشهرهم حفـص بن عمر الدوري ؛ وخلف ابن هشام ، وخلاد بن خالد وقد رويا عنه قراءة حمزة ، وكان حمزة يجله ويقدره ويقول لمن يقرأ عنده إذا حضر سليم :- (تحفظوا وتثبتوا فقد جاء سُليم)[3] ، توفي سنة ثمان وثمانين ومائة[4] .

١جمال القراء ج٢ ص٤٧٠ .

٢ انظر غاية النهاية لابن الجزري ج١ ص (٢٦١ – ٢٦٤) ومعرفة القراء الكبار للذهبي ج١ ص (١١١-١١٨) . وجمال القراء ج٢ ص .

٣ غاية النهاية ج١ ص٣١٩ .

٤ انظر معرفة القراء الكبار ج١ ص(١٣٨ – ١٤٠) ، وغاية النهاية ج١ ص(٣١٨ – ٣١٩) .

خلف بن هشام البزَّار

هو شيخ الإسلام أبو محمد الأسدي خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف البغدادي البزار، أحد القراء العشرة وراوي قراءة حمزة عن سُليم بن عيسى ت١٨٨هـ . ولد خلف سنة خمسين ومائة ، وحفظ القرآن وهو ابن عشر سنوات ، وطلب العلم وهو ابن ثلاث عشرة.

كان ثقة كبيراً زاهداً عابداً عالماً بالقرآن الكريم والحديث الشريف قرأ على سُليم ابن عيسى ، وسمع من الكسائى ت١٨٩هـ الحروف ولم يقرأ عليه . قرأ عليه خلق كثير منهم أحمد بن يزيد الحلواني توفي بعد ٢٥٠هـ . وإدريس الحداد ت٢٩٢هـ ، وقد أخذ عنه روايته عن حمزة كما أخذ عنه اختياره ، وإسحق بن إبراهيم الوراق ت٢٨٦هـ وقد روى عنه اختياره .

سمع مالكاً ت١٧٩هـ وغيره ، وحدث عنه مسلم ت٢٦١هـ في صحيحه وأبو داود ت٢٧٥هـ في سننه ، وأحمد بن حنبل ت٢٤١هـ وعدد كثير .. ووثقه يحيى بن معين وقال الدارقطني كان عابداً فاضلاً .

وقال الحسين بن فَهْم[1] : ما رأيت أنبل من خلف بن هشام . كان يبدأ بأهل القرآن ، ثم يأذن للمحدثين ، وكان يقرأ علينا من حديث أبي عَوانه[2] خمسين حديثاً .. وورد أنّ خلفاً كان يصوم الدهر . تُوفي عليه رحمة ا في جمادي الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين[3] .

---

١ الحسين بن فهم من رواة الحديث ت٢٨٩هـ [ميزان الاعتدال ج١ ص٥٤٥هـ].

٢ وأبو عوانه هو وضاح اليشكري الواسطي محدث ثقة ثبت ت١٧٦هـ [تقريب التهذيب ص٥٨٠] .

٣ معرفة القراء الكبار ج١ ص(٢٠٨ – ٢١٠) ، وغاية النهاية ج١ ص(٢٧٢ – ٢٧٣) .

خلاد بن خالد الشيباني

هو أبو عيسى خلاد بن خالد الشيباني الصيرفي الكوفي .. إمام في القراءة ، ثقة عارف محقق أخذ قراءة حمزة عن سُليم بن عيسى ت١٨٨هـ وهو من أضبط أصحابه وأجلهم كذلك روى القراءة عن أبي جعفر محمد بن الحسن الرواسي[١] وغيرهم .

وروى عنه القراءة أحمد بن يزيد الحلواني توفي بعد ٢٥٠هـ . والقاسم بن يزيد الوزان الحاذق الضابط المشهور ،وقد قرأ قراءة حمزة على خلاد عشر ختمات وبلغ من الختمة الحادية عشرة إلى الشعراء[٢] ت٢٥٠هـ . وقرأ عليه أيضاً أبو عبد الله محمد ابن الهيثم الضابط الحاذق قاضي عُكبرا ت٢٤٩هـ .. وكان من رواة الحديث .

توفي سنة عشرين ومائتين[٣] .

عبد الله بن عامر اليحصبي

هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي . ويكنى أبو عمران على الأصح . إمام أهل الشام في القراءة وقاضي دمشق ، أخذ القراءة عرضاً عن أبي الدرداء ت٣٢هـ وعن المغيرة ابن أبي شهاب ت٩١هـ وصاحب عثمان بن عفان رضي الله عنه.

---

١ أبو جعفر محمد بن الحسن بن أبي سارة الرواسي الكوفي النحوي روى عن أبي عمرو وروى عنه خلاد والكسائي والفراء [غاية النهاية ج٢ ص(١١٦ – ١١٧) .

٢ غاية النهاية ج٢ ص٢٥ .

٣ غاية النهاية ج١ ص٢٧٤ ، معرفة القراء ج١ ص٢١٠ .

قال عنه الأهوازي[1] : (كان عبد ا بن عامر إماماً عالماً ثقـة فيمـا أتـاه حافظاً لما رواه متقناً لما وعاه عارفاً فهماً قيماً فيما جاء به صادقاً فيما نقلـه مـن أفاضل المسلمين وخيار التابعين وأجلة الراوين لا يتهم في دينه ولا يشك في يقينـه ولا يرتاب في أمانته ولا يطعن عليه في روايته صحيح نقله فصيح قوله ، عالياً في قدره مصيباً في أمره مشهوراً في علمه مرجوعاً إلى فهمه لم يتعد فيما ذهب إليـه الأثر ولم يقل قولاً يخالف فيه الأثر.) [2]

ولد على أصح الأقوال سنة ثمان من الهجرة قبل وفاة الرسول ﷺ بسنتيت ، وقبل فتح دمشق ، التي جاءها بعد فتحها وعمره تسع سنوات وتوفي بدمشق سـنة ثمان عشرة ومائة ، في يوم عاشوراء[3] .

هشام بن عمار

أبو الوليد هشام بن عمار إمام أهل دمشق وخطيـبهم ومقـرئهم ومحـدثهم ومفتيهم . ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة ، أخذ قـراءة ابـن عـامر الـشامي ت ١١٨هـ، من عراك ابن خالد[4] ، وأخذ عراك قراءة ابن عامر من يحيى بن الحارث الذماري[5] .. وهو من رجال الحديث روى عن مالك بن أنس ت١٧٩هـ ، وسفيان

---

١ الحسن بن على إبراهيم إمام كبير ثقة ومحدث ولد سنة ٣٦٢هـ بالأهواز وتوفي سنة ٤٤٦هـ بدمشق [غاية النهاية ج١ ص٢٢٠ه] .

٢ غاية النهاية ج١ ص٤٢٥ .

٣ انظر معرفة القراء ج١ ص(٨٢ – ٨٦) ، وغاية النهاية ج١ ص(٤٢٣ – ٤٢٥) .

٤ عراك بن خالد بن يزيد أحد من خلف الذماري في القراءة بالشام، توفي بعد ٢٠٠هـ [غاية النهاية ج١ ص٥١١].

٥ يحيى بن حارث الذماري أبو عمرو يعد من التابعين خلف ابن عامر في إمامة الجامع الأموى ومشيخة الإقراء بدمشق ت١٤٥هـ [غاية النهاية ج٢ ص٣٦٧] .

بن عيينة ت١٩٨هـ (وروى عنه القراءة أبو عبيد القاسم بـن سـلام ت٢٤٢هـ ـ وأحمد بن يزيد الحلواني توفي بعد ٢٥٠هـ) .

روى عنه البخاري في صحيحه ، ورجال الحديث ، ووثقه يحيى بن معين .

قال عنه الدارقطني كما في غاية النهاية في طبقات القراء : (صدوق كبير المحل ، وكان فصيحاً علامة واسع الرواية)[١] . مات هشام سنة خمس وأربعين ومائتين [٢] .

---

١ أبو الحسن على بن عمر بن أحمد الدارقطني ت٣٨٥هـ [غاية النهاية ج٢ ص٣٥٥] .

٢ غاية النهاية ج٢ ص(٣٥٤ – ٣٥٦) ، ومعرفة القراء ج١ ص(١٩٥ – ١٩٨) .

المطلب الأول: اسناد طرق أبي عمرو الداني من التيسير

إسناد قراءة الإمام حمزة بن حبيب من التيسير

تلقي حمزة من الكثير من الأئمة الأجلاء منهم أبو محمد سليمان بـن مهـران الأعمش ، ت١٤٨هـ وطريقه هو الذي في التيسير . كذلك تلقي حمزة من محمد بـن عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي ت١٤٨هـ ، وحمران بن أعين ت١٢٩هـ ـ وأبـو إسحاق عمرو بن عبد ا السبيعي ت١٣٢هـ ، ومنصور بن المعتمـر ت١٣٣هـ ـ ومغيرة بن مقسم ت١٣٣هـ وجعفر ابن محمد الصادق ت١٤٨هـ وغيرهم . وأخـذ الأعمش عن يحيى بن وثاب ت١٠٣هـ ، وأخذ يحيى عن جماعة من أصـحاب ابـن مسعود ، علقمة بن قيس ت٦٢هـ والأسْود بن يزيد ت٦٢هـ ـ وعبيـد بـن نـضيلة الخزاعى ت٧٤هـ وزر بن حبيش ت٨٢هـ وأبي عبد الرحمن الـسلمي ت٦٢هـ ـ وغيرهم. عن ابن مسعود ت٣٢هـ عن النبي ﷺ [1].

---

١ التيسير ص٩ ، غاية النهاية ج١ ص ٢٦١ ، معرفة القراء الكبارج١ ص١١١

إسناد رواية خلف عن حمزة وطريق أبي عمرو الداني من التيسير

قال الداني عن رواية خلف : (وقرأت بها القرآن كله علـى أبـي حـسن شيخنا[1] ، وقال لي قرأت بها على أبي الحسن محمد بن يوسف بن نهار الحرتكـي بالبصرة[2] . وقال لي قرأت بها على أبي الحسين أحمد بن عثمان بـن جعفـر بـن بويان[3] وقال قرأت على إدريس بن عبد الكريم[4] . قبل أن يقرئ باختيار خلف وقال قرأت على خلف وقال قرأت على سُليم وقال قرأت على حمزة)[5] .

---

١ أبو الحسن بن غلبون المقرئ أحد الحذاق ومصنف التذكرة ت٣٩٩هـ [معرفة القراءج١ ص٣٦٩] .

٢ الحرتكي ، إمام جامع البصرة ، توفي بعد ٣٧٠هـ [معرفة القراء ج١ ص٣٤٦] .

٣ ابن بويان : الثقة الحافظ الضابط المشهور ت٣٤٤هـ [معرفة القراء ج١ ص٢٩٣] .

٤ إدريس بن عبد الكريم راوي خلف العاشر قال عنه الداني : (وأقرأ الناس ورُحل إليه من البلاد لإتقانـه وعلو إسناده) ت٢٩٢هـ [معرفة القراء ج١ ص٢٥٥] .

5 وقد سبق ترجمة الأئمة خلف وسليم وحمزة ، انظر التيسير ص١٥ .

إسناد طريق أبي عمرو الداني لرواية خلف وقراءة حمزة من كتاب التيسير[1]



[1] التيسير ص (٩ – ١٥) .

إسناد رواية خلاد عن حمزة وطريق أبي عمرو الداني من التيسير

قال الداني في التيسير [١] عن رواية خلاد : (قرأت بها القرآن كله على أبي الفتح الضرير [٢] شيخنا وقال قرأت لها على عبد ا بن الحسين [٣] المقرئ وقال قرأت بها على محمد بن أحمد بن شَنَبُوذ [٤] وقال قرأت بها على أبي بكر محمد بن شاذان الجوهري المقرئ[5] وقالت قرأت على خلاد وقال قرأت على سُليم وقرأ سُليم على حمزة [٦] .)

---

١ التيسير ص١٥.

٢ أبو الفتح فارس بن أحمد بن موسى أحد شيوخ الداني ت٤٠١هـ بمصر [معرفة القراء ج١ ص٣٧٩] .

٣ عبد ا بن الحسين بن حَسْنون ضابط ثقة ، مُسند القراء بمصر ت٣٨٦هـ معرفة القراء ج١ ص(٣٢٧ – ٣٣٢).

٤ ابن شَنَبوذ محمد بن أحمد بن الصلت ، جاب الآفاق طالباً للعلم وقرأ بالمتواتر والشاذ ، ثقة صالح متدين، لكنه خالف الجماعة ورأي جواز القراءة بالشاذ ، واستتيب وسيأتي ذكر ذلك إن شاء ا ت٣٢٨هـ [معرفة القراء ج١ ص٢٧٦].

5 ابن شاذان مقرئ ثقة ومحدث ت٢٨٦هـ [معرفة القراء ج١ ص255] .

٦ وقد سبقت ترجمة خلاد وسُليم وحمزة ، انظر التيسير ص١٥ .

إسناد طريق أبي عمرو الداني لرواية خلاد وقراءة حمزة من كتاب التيسير



إسناد قراءة الإمام ابن عامر الشامي من التيسير[1]

قال الداني : (ورجال ابن عامر ، أبو الدرداء عُوَيْمِر بن عامر[2] صاحب النبي ﷺ ، والمغيرة بن أبي شهاب المخزومى وأخذ المغيرة[3] عن عثمان بن عفان رضي ا عنه عن النبي ﷺ) .

إسناد رواية هشام عن ابن عامر وطريق أبي عمرو الداني من التيسير

قال الداني عن رواية هشام : (وقرأت بها القرآن كله على أبي الفتح شيخنا[4] وقال لي قرأت بها على عبد ا بن الحسين المقرئ[5] وقال قرأت بها على محمد بن أحمد ابن عِبْدان[6] وقال قرأت على الحلواني[7] وقال قرأت على هشام)[8] .

---

١ التيسير ص٩ .

٢ أبو الدرداء الصحابي الجليل القدر عُويمر بن زيد الأنصارى الخزرجى رضي ا عنه ، قاضي دمشق من العلماء الحلماء ت٣٢هـ [معرفة القراء ج١ ص٤٠] .

٣ المغيرة بن أبي شهاب المخزومى تابعى جليل قرأ على عثمان رضي ا عنه ت٩١هـ [معرفة القراء ج١ ص٤٨].

٤ أبو الفتح سبقت ترجمته .

٥ عبد ا بن الحسين : المقرئ اللغوي مسند القراء في زمانه ت٣٨٦هـ [غاية النهاية ج١ ص٤١٥] .

٦ ابن عِبْدان : أخذ عن الحلواني عن هشام لم يذكر له تاريخ وفاة [انظر غاية النهاية ج٢ ص٦٤] .

٧ الحلواني: أحمد بن يزيد بن أزداز إمام كبير عارف صدوق متقن توفي بعد ٢٥٠هـ [غاية النهاية ج١ ص١٤٩].

٨ التيسير ص١٤ .

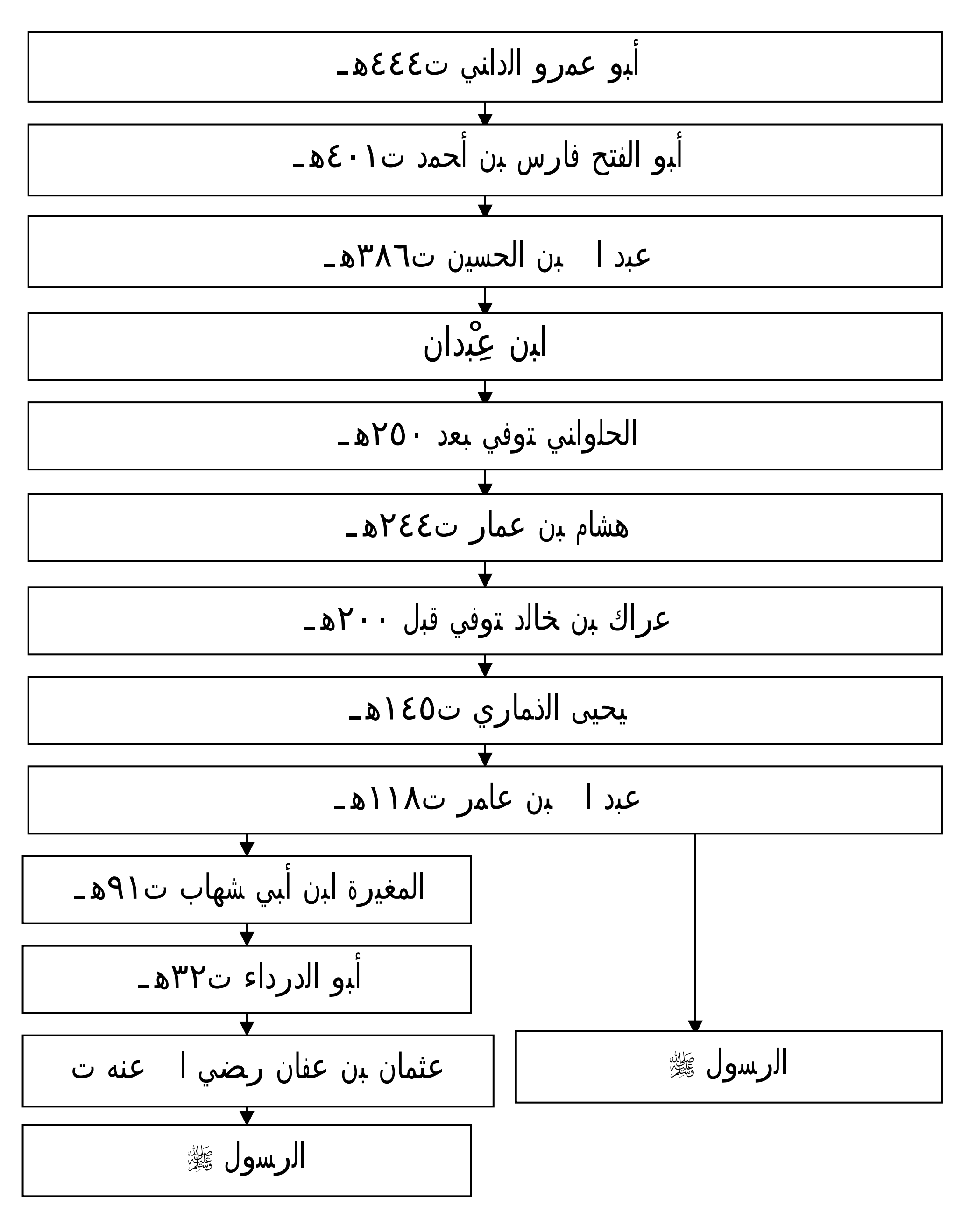
وهشام لم يأخذ مباشرة من ابن عامر ، بل قرأ هشام على عراك بن خالـد المرى[1] ، وقرأ عراك على يحيى[2] بن الحارث الذماري وقرأ الذماري علـى ابـن عامر.)

١ عراك بن خالد ، مقرئ أهل دمشق في عصره توفي قبل ٢٠٠هـ [معرفة القراء ج١ ص٦٠ ، غايـة النهاية ج١ ص511] .

٢ يحيى الذماري : خليفة ابن عامر ، ثقة عالم بالقراءة ت١٤٥هـ .

إسناد طريق أبي عمرو الداني لرواية هشام

وقراءة عبد الله ابن عامر من كتاب التيسير



المطلب الثاني : تواتر القراءات العشر

أتناول هذا الأمر بإذن الله وعونه من محورين ، المحور الأول ، ما جـاء عن عدم تقبل بعض العلماء لقراءة إمام القرآن والسنة حمزة بن حبيب . والمحـور الثاني تلحين النحويين للقراءات المتواترة ومن ذلـك قـراءة حمـزة : {الأرحـامِ} النساء١، وقراءة {مصرخيِ} إبراهيم٢٢ بالخفض لا بالفتح فيهما . ولم تخلُ قـراءة متواترة من القراءات العشر من تجنيهم.

وقبل الشروع في دفع اللّبس الذي لحق بقراءة حمزة لابد من بيـان بعـض الثوابت التي تنتصر لقراءة حمزة بل للقراءات المتواترة كافة .

قراءة حمزة من القراءات السبع المتواترة التي تلقتها الأمة بالقبول والإجماع ولا خلاف بين الأئمة في تواتر القراءات السبع بل والذي عليه أكثر أهل العلـم أن القراءات الثلاث المتممة للعشرة أيضاً متواترة، وهي قراءة أبي جعفر المدني توفي حوالى ١٣٠هـ ويعقوب الحضرمي ت ٢٠٥هـ وخلف البزار ت ٢٢٩هـ .

قال القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) :

(القراءات بالنسبة للتواتر وعدمه ثلاثة أقسام : قسم اتفق على تواتره وهـي السبعة المشهورة ، وقسم اختلف فيه وهي الثلاثة بعدها،وقسم اتفق على شذوذه وهم الأربعة الباقية)[1] .

---

[1] لطائف البيان ١٧٠/١ .

وقال ابن الجزري (ت ٨٨٣هـ) :

(فالذي وصل إلينا اليوم متواتراً وصحيحاً ومقطوعاً به قراءة الأئمة العشرة ورواتهم المشهورين ، هذا الذي تحرر من أقوال العلماء وعليه الناس اليوم بالشام والعراق ومصر والحجاز)[١] .

وقال الإمام البنا صاحب إتحاف فضلاء البشر (ت ١١١٧هـ) :

(وقد أجمع الأصوليون والفقهاء وغيرهم على أن الشاذ ليس بقرآن لعدم صدق الحد عليه).

ثم قال: (وأجمعوا على أنه لم يتواتر شئ مما زاد على العشرة المشهورة)، ثم قال : (والحاصل أن السبع متواترة اتفاقاً وكذا الثلاثة "أبو جعفر" [٢] ، "يعقوب" و"خلف" على الأصح بل الصحيح المختار وهو الذي تلقيناه من عامة شيوخنا وأخذنا به عنهم وبه نأخذ وإن الأربعة بعدها "ابن محيص" ، "اليزيدي" ، و"الحسن" و"الأعمش" شاذة اتفاقاً) [٣] .

واستفتى ابن الجزري شيخه الإمام عبد الوهاب السبكي الشافعي بما نصه: (ما تقول أئمة الدين في القراءات العشر التي يقرأ بها اليوم هل هي متواترة أم غير متواترة ؟ وهل كل ما انفرد به واحد من العشرة بحرف من الحروف متواتر أم لا ؟ وإذا كانت متواترة فما يجب على من جحدها أو حرفاً منها ؟.)

وقال ابن الجزري فأجابنى ، ومن خطه نقلت : (الحمد القراءات السبع التي اقتصر عليها الشاطبي والثلاث التي هي قراءة أبي جعفر وقراءة يعقوب

---

١ منجد المقرئين ص ٢٣

٢ أبو جعفر ت حوالى ١٣٠هـ ، ويعقوب ت ٢٠٥هـ ، وخلف ت ٢٢٩هـ .

٣ ابن محيص ت ١٢٣هـ ، واليزيدى ت ٢٠٢هـ ، والحسن البصري ت ١١٠هـ ، والأعمش ت ١٤٨هـ .

وقراءة خلف متواترة معلومة من الدين بالضرورة أنه منزل على رسـول ا ﷺ لا يكابر في شئ من ذلك إلا جاهل وليس تواتر شئ منها مقصوراً علـى مـن قـرأ بالروايات بل هي متواترة عند كل مسلم يقول أشهد ألا إله إلا ا وأشهد أن محمـداً رسول ا ولو كان مع ذلك عامياً جلفاً لا يحفظ من القرآن حرفاً . ولهـذا تقريـر طويل وبرهان عريض لا يسع هذه الورقة شرحه . وحظ كل مسلم وحقه أن يـدين ا تعالى ويُجزم نفسه بأن ما ذكرناه متواتر معلوم باليقين لا تتطـرق الظنـون ولا الارتياب إلى شئ منه وا أعلم)[١] .

ولقد تلقي الصحابة رضوان ا عليهم القراءات من الرسول ﷺ الذي تلقاها من جبريل عليه السلام . وتلقاها الروح الأمين من رب العالمين ، وكان الـصحابة رضي ا عنهم يحتكمون لدى رسول ا ﷺ كل ما سمع أحدهم أخاه يقرأ الـسورة بغير الحروف التي تلقاها من المعصوم ﷺ .

فيسمع النبي ﷺ قراءة المختصِمَين فيرد على كل واحد منهما بقولـه (كـذا أُنزلت) ثم يقول (إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا مـا تيـسر منـه) وأشهر هذه الأحاديث حديث اختصام عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم حول سورة الفرقان والحديث عند البخاري في باب أُنزل القرآن على سبعة أحرف ، من فضائل القرآن .وله نظائر عند البخاري في بدء الخلق ولمسلم في بيان القرآن أُنزل علـى سبعة أحرف وبيان معانيها ، وروى مثله أبو داوود في الـوتر ، والترمـذي فـي القرآن، ومالك في القرآن ، والنسائي في الافتتاح ، ورواه أحمد ، والهيثمـي فـي مجمع الزوائد ، والبزاز ، والسيوطي في الخصائص الكبرى ، وأبـو يعلـى فـي المستدرك ، وأورد الطبري في جامع البيان روايات كثيرة حول هذا الحـديث فـي حدود الأربعين حديثاً .

---

١ النشر ج١ ص (٤٥- ٤٦) ومنجد المقرئين ص٥١ .

وقال ابن الجزري : (وقد تتبعت طرق هذا الحديث في جزء مفرد جمعته في ذلك فرويناه عن حديث عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم بن حزام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل ، وأبي هريرة وعبد الله بن عباس ، وأبي سعيد الخدري وحذيفة بن اليمان ، وأبي بكرة ، وعمرو بن العاص ، وزيد بن أرقم وأنس بن مالك ، وسمرة بن جندب وعمرو ابن أبي سلمة وأبي جهم وأبي طلحة الأنصارى وأم أيوب الأنصارية. وزاد السيوطي في الإتقان على طرق ابن الجزري المذكورة ، زاد عليها سليمان بن صرد وعثمان بن عفان رضي الله عنهما ، وذكر أبو أيوب ولم يذكر أم أيوب ، ثم قال : (فهؤلاء أحد وعشرون صحابياً) [1].

قلت وشهادة هؤلاء العدول من صحابة رسول الله ﷺ السابقين للإسلام ، الذين أثنى عليهم وشهد لهم بالفضل الوحيان القرآن الشريف والسنة المطهرة تدل دلالة لا مراء فيها على تواتر القرآن الكريم بل إن عثمان رضي الله عنه كما في مسند أبي يعلى قال على المنبر : (أذْكَرَ الله رجلاً سمع النبي ﷺ قال : "إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ" فلما قام فقاموا حتى لم يحصدوا فشهدوا بذلك فقال وأنا أشهد معهم) [2] .

ثم اتسعت الدولة الإسلامية وذلك في نحو ثلاثين من الهجرة ، وتنبه الصحأبي الجليل حذيفة بن اليمان إلى اختلاف الناس في القرآن وادعاء كل واحد أن قراءته هي الأصح ، وكان حينها يقود جيوش المسلمين بأرمنية وأذربيجان ، فقدم المدينة ونقل لأمير المؤمنين مخاوفه وحثه على إدراك الأمة قبل أن تختلف اختلاف

[1] انظر النشر ج١ ص ٢١ – الإتقان ج١ ص ٦١ .
[2] الاتقان للسيوطي ٦١ .

اليهود والنصارى ، فشرح ا صدر عثمان رضي ا عنـه فنـسخ المـصحف ، وأرسل نسخاً للأقاليم مبقياً معه مصحفاً بالمدينة .

وفرق الصحابة - الذين أوكلت لهم مهمة النسخ - فرقـوا القـراءات فـي المصاحف . ومثال ذلك نجد في مصحف الشام (قالوا اتخذ الله ولداً)البقرة١١٦ بحذف الواو ، وفي مصحف مكة (وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار)التوبة١٠٠ بزيـادة "مِن" ، فقد تلقي الصحابة رضوان ا عليهم من الرسول ﷺ (وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار)التوبة١٠٠ بزيادة (مِنْ) وبحذفها فأثبتوا القراءتين .

ولما لم يتلق أحد منهم حذفاً لكلمة (مِن) في سورة التوبة نفسها في موضعين آخرين عند قوله تعالى (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها)التوبة٧٢ وعند قولـه تعـالى (أعد اللهُ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها . . .)التوبة٨٩ ، أُثبتت (مِن) في جميع المصاحف فتأمل . وقد تثبت القراءة فـي أكثر من مصحف ، فيشترك أهل أكثر من إقليم في قراءتها ومثال ذلك قراءة أهـل المدينة والشام حيث قرأ نافع وشيخه أبو جعفر المدنيان، وأيضاً ابن عامر الـشامي على سبيل المثال لا الحصر ، (سارعوا إلى مغفرة من ربكم) آل عمران١٣٣ بحذف الواو قبل الفعل ، وقرؤا أيضاً (فإن الله الغني الحميد) الحديد٢٤ بحذف الـضمير (هو) بعد اسم الجلالة (الله) وكذلك قرؤا ومعهم ابن كثير المكي (منهما منقلباً) الكهـف٣٦ على التثنية لا على الإفراد .

وقد أرسلت المصاحف إلى البصرة ، الكوفة ، الـشام ، مكـة ، الـيمن ، البحرين وترك مصحف بالمدينة ، كما أبقى عثمان رضي ا عنه مصحفاً لنفـسه وهو الذي يقال له الإمام.

وانبرى الحفظة من صحابة رسول ا ﷺ في كل إقليم يعلمون الناس ما بين دفتى مصحفهم ، فتلقى فضلاء كل إقليم القرآن من صحابة رسول ا ﷺ وتصدوا لإقراء من بعدهم يعلمون الناس ما تعلموه من الصحابة المتلقين من رسول ا ﷺ .

فمن بين من كانوا في المدينة سعيد بن المسيب ت٩٤هـ ، وعمر بن عبـد العزيز ت١٠١هـ وعطاء بن يـسار ت١٠٣هـ ـ وعبـد الـرحمن بـن هرمـز ت١٢٧هـ .

ومن بين من كان بمكة عبيد بن عمير ت٧٤هـ ـ وطـاوس بـن كيـسان ت١٠٦هـ وعطاء بن السائب ت١١٥هـ ومجاهد بن جبر ت١٠٣هـ . وزخـرت الكوفة بالكثيرين ، منهم علقمة بن قيس ت٦٤هـ ، والأسود بن يزيـد النخعـي ت ٧٥هـ ومسروق بن الأجدع ت٧٣هـ، وعبيدة بن الحارث ت ٧٢هـ وعمرو بـن ميمون ت٧٥هـ وزر بن حبيش ت٨٢هـ وعبيد بن نـضيلة تـوفي فـي حـدود ٧٥هـ،وسعيد بن جبير ت٩٥هـ وإبراهيم النخعي ت٩٦هـ .

ومن قراء البصرة أبو العالية الرياحي ت٩٠هـ ونصر بن عاصم توفي قبل عام ١٠٠هـ ويحيى بن يعمر توفي قبل ٩٠هـ ، الحسن البصري ت١١٠هـ وكان بالشام المغيرة بن أبي شهاب صاحب عثمان رضي ا عنهما ت٩٠هـ وخليد بـن سعد[١] صاحب أبي الدرداء ت٣٢هـ رضي ا عنهما .

---

١ خليد بن سعد السلماني مولى أم الدرداء أحد التابعين القراء .

ومن هذا النفر الكريم تلقي القراء العشرة القراءات العشر ونسبت إلـيهم . فكان بالمدينة أبو جعفر يزيد بن القعقاع شيخ نافع توفي ما بين (١٢٧-١٣٣)هـ ، ونافع بن عبد الرحمن أبو رؤيم ت١٦٩هـ . وكـان بمكـة عبـد ا بـن كثيـر ت١٢٠هـ ، ويعقوب بن إسحق الحضرمي ت ٢٠٥هـ . وكان بالشام عبد ا ابن عامر اليحصبي ت١١٨هـ . وكان بالكوفة عاصم بن أبي النجـود ت١٢٨هـ ـ ، وحمزة بن حبيب ت١٥٦هـ ، وعلى ابن حمزة الكسائى ت١٨٩هـ ، وخلف ابـن هشام البزار راوي حمزة قبل أن يقرئ باختياره ت٢٢٩هـ .

وهكذا تواترت القراءات العشر وتحقق فيها تعريف التواتر : (ما رواه جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب من أول السند إلى منتهاه) أي إلى الرسـول ﷺ . ولا بد من إثبات أن هؤلاء القراء لم يكونوا وحدهم في ساحة الإقراء وحلقات الذكر بل كان معهم أئمة أجلاء معاصرون لهم ، يعلمون مثلهم القرآن والقـراءات ، منهم بالمدينة شيبة بن نصاح مولى أم سلمة رضي ا عنها وأحـد شـيوخ نـافع وقاضي المدينة ومقرئها مع أبي جعفر ت١٣٠هـ ومنهم بمكة حميد بن محيـصن السهمى الذي قرأ على سعيد بن جبير ومجاهد ت١٢٣هـ .

ومنهم بالكوفة سليمان بن مهران شيخ حمزة ت١٤٨هـ ويحيى بن وثـاب وقد قرأ على عدد من علماء الكوفة مثل علقمة والأسود ومسروق [١] ت١٠٣هـ ـ ، ومنهم بالبصرة عبد ا بن أبي اسحق أحد شيوخ أبي عمرو ت١١٧هـ ـ ومـنهم بالشام عطية بن قيس الكلأبي ت ١٢١هـ وقد جاوز المائة سنة ويحيى بن الحارث الذماري ت ١٤٥هـ .

وكان إقبال أهل كل إقليم على تلقي القرآن منقطع النظير حتى بلغ العرفاء الذين يعاونون الشيخ في الحلقة الواحدة المئات ، فتواتر القرآن لم يكن تواتر آحـاد

١ سبق ذكر تاريخ وفاتهم .

بل كان تواتر قراء أهل كل إقليم . وأجمع العلماء على تواتر القراءات العشر كما تم بيانه إلا ما نُسب إلى الإمام أبي شامة [1] في كتابه المرشد الوجيز الباب الخامس ، بعدم تواتر القراءات عن النبي ﷺ وتابعه في ذلك الزركشي في البرهان ت ٧٩٤هـ [2] .

قال ابن الجزري (على أن تعيين هؤلاء القراء ليس بلازم ولو عين غير هؤلاء لجاز تعيينهم إما لكونهم تصدوا للقراءة أكثر من غيرهم أو لأنهم شيوخ المعين كما تقدم . ومن ثم كره من كره من السلف أن تنسب القراءة إلى أحد) .

روى ابن أبي داود [3] عن إبراهيم النخعي[4] قال : (كانوا يكرهون سنة فلان وقراءة فلان) . قلت ذلك خوفاً مما نُسب لأبي شامة من أن القراءة إذا نسبت لشخص تكون أحادية. ولم يُدر أن كل قراءة نسبت إلى قارئ من هؤلاء كان قراؤها زمن قارئها وقبله أكثر من قرائها هذا الزمان وأضعافهم ....) [5] .

وأوقف ابن الجزري شيخه أبا محمد الجمالي [6] على ما جاء في المرشد الوجيز فكان مما قاله الجمالي (ينبغي أن يعدم هذا الكتاب من الوجود ولا يظهر البتة) [7] . ثم فند ما نسب إلى أبي شامة ثم شكك في نسبته إلى أبي شامة فما جاء

١عبد الرحمن بن اسماعيل المقدس فالدمشقى الشافعي قال عنه بن الجزري (كان أوحد زمانه ، صنف الكثير في أنواع من العلوم وشرح الشاطبية في كتابه إبراز المعاني ، أخذ القرآن من الإمام السخاوي ت ٦٦٥هـ ، غاية النهاية ج١ ص٣٦٥ .

٢ في كتابه البرهان في علوم القرآن ج١ ص٣١٩ .

٣ وابن أبي داود : عبد ا بن سليمان صاحب كتاب المصاحف وابن الإمام أبو داود صاحب السنن ت ٣١٦ .

٤ ابراهيم بن يزيد شيخ الأعمش ت ٩٦ هـ .

٥ منجد المقرنين ص ٦٨ .

٦ هو أبو محمد الجمالي الشافعي شيخ ابن الجزري ت ٧٨٤ بدمشق غاية النهاية ج٢ ص ٢٥٣ .

٧ منجد المقرنين ص (٦٣ – ٦٤) .

عن أبي شامة عن القراء السبعة في المرشد الوجيز :(فما نسب إليهم وفيه إنكار أهل اللغة وغيرهم الجمع بين الساكنين .. وخفض الأرحام .. والفصل بين المتضايفين)[1].

ثم قال الجمالي : (هذا كلام من لم يدر ما يقول حاشى الإمام أبو شامة منه وأنا من فرط اعتقادي فيه أكاد أجزم بأنه ليس من كلامه في شئ ...) [2] .

ثم استدل على قوله بأن هذه الآراء مدسوسة على أبي شامة ، وقال عن أبي شامة (وإلا فهو في غيره من مصنفاته كشرحه للشاطبية بالغ في الانتصار لقراءة حمزة (والأرحامِ) بالخفض ، والفصل بين المتضايفين ثم قال في الفصل : ولا التفات إلى قول من زعم أنه لم يأت في الكلام مثله[3] لأنه ناف . ومن أسند هذه القراءة مثبت والإثبات مرجح على النفي بالإجماع ، قال ولو نقل إلى هذا الزاعم عن بعض العرب أنه استعمله في النثر لرجع عن قوله فما باله ما يكتفي بناقلي القراءة من التابعين والصحابة رضي ا عنهم[4] ...) .

قلت والذي أميل اليه أن الباب كله مدسوس على أبي شامة . وقد رجعت إلى إبراز المعاني فوجدت أبا شامة ينتصر إلى قراءة حمزة (والأرحامِ) بالخفض

---

١ منجد المقرنين ص٦٣ الجمع بين الساكنين مثل قراءة (فَنِعْمّا) ، وقراءة الخفض في (الأرحامِ) هي قراءة حمزة ، والفصل بين المتضايفين قراءة ابن عامر (وكذلك زُين لكثيرٍ من المشركين قتلُ أولادَهم شركائهم) الأنعام ١٣٧ .

٢ منجد المقرنين ص٦٦ .

٣ في إبراز المعاني لأبي شامة "في الكلام المنثور مثله" ، قلت وهو الأقرب لأنه جاء بعد استشهاده بالكثير من شعر العرب الذي فصل فيه المتضايفان ، إبراز المعاني ص (٤٦٢ – ٤٦٧) .

٤ منجد المقرنين ص ٦٧ ، وفي إبراز المعاني سقطت الألف المهموزة من عبارة (ولو نقل إلى) وفيه (فما باله لا يكتفي ... عن التابعين) وفي منجد المقرنين (فما باله ما يكتفي ... من التابعين) وفي إبراز المعاني (عن الصحابة رضي ا عنهم أجمعين) أي بزيادة أجمعين .

ويستدل على صحتها بأكثر من وجه ويفرد لها صفحتين و أكثر ثم يستـشهد بـرد الإمام المفسر أبي نصر عبد الرحيم القشيري ت٥١٤هـ في رده على أبي اسـحق الزجاج النحوي[١] (ومثل هذا الكلام مردود عند أئمة الدين لأن القراءات التي قرأهـا أئمة القراءات ثبتت عن النبي ﷺ تواتراً يعرفه أهل الصنعة . وإذا ثبت شـئ عـن النبي ﷺ فمن رد ذلك فقد رد على النبي ﷺ واستقبح ما قرأ به وهذا مقام محذور لا تقلد فيه أئمة اللغة والنحو...) .

ثم قال أبو شامة (قلت : وهذا كلام حسن صحيح وا أعلم). قلـت فهـاهو نهج أبي شامة الذي قال عنه ابن الجزري (أحد زمانه) والذي صنف في الكثير من أنواع العلوم وهو تلميذ السخاوي شارح شاطبية شيخه الشاطبي .. ومن يطلع علـى إبراز المعاني يدرك أن ما نسب لأبي شامة مدسوس عليه .. وا أعلم .

وقد أولى المحقق ابن الجزري هذه الشبه اهتمامه وعنايته وعرضها علـى كثير من شيوخه ، ففندوها وإن الخلل الذي أدى الشبهة – على قلة من تنسب إليهم- مؤداة أن من قال أن القراءات السبع أو العشر ليست متواترة إلى الرسـول ﷺ ، أو ليست متواترة في طبقة من طبقات إسنادها ، إنما ذهب إلى ذلك لظنـه أن القـراءة أحادية كالحديث لأنها نسبت إلى شخص واحد .

وقد بين العلماء الذين فندوا هذه الشبهة أن القراءات نسبت إلى هؤلاء القراء اصطلاحاً ولأنهم تصدوا للإقراء وثابروا و صابروا وأخلصوا النيـة ... وكـان يقرأ بقراءتهم أهل الإقليم الذي هم فيه الجيل يورثها الجيل وأسـوق لـذلك مثـالين ولطيفة :-

---

١ إبراهيم بن السرى بن سهل أبو أسحق الزجاج تلميذ المبرد النحوي ت ٣١١هـ - إنباه الرواة للقفطـي ١٥٩/١ .

المثال الأول :

كان للصحأبي الجليل أبي الدرداء ت ٣٢هـ في حلقته لتعليم القرآن بجامع دمشق ألف وستمائة ونيف طالب علم[1] وكان لكل عشرة منهم مقرئ .. قال سويد [2] بن عبد العزيز كما في معرفة القراء الكبار للذهبي :(كان أبو الـدرداء إذا صـلى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه فكان يجعلهم عشرة عشرة وعلـى كل عشرة عريفاً ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره فإذا غلط أحدهم رجع إلـى عريفه فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء يسأله عن ذلك) ثم قـال الـذهبي : (وكان ابن عامر عريفاً على عشرة كذا قال سويد فلما مات أبو الدرداء خلفـه ابـن عامر)[3].

هكذا تلقي أكثر من ألف قارئ من أهل دمشق من الصحأبي الجليل قاضـي دمشق أبي الدرداء رضي ا عنه فكم تلقي من أهل دمشق من خليفته التابعي الجليل عبد ا ابن عامر قاضي دمشق حاضرة الدولة الأموية في عهد الخليفـة الراشـدي الخامس عمر بن عبد العزيز؟ عن ذلك يحدثنا ابن الجزري (ولقد بلغنا عـن هـذا الإمام أنه كان في حلقته أربعمائة عريف يقومون عنه بالقراءة) [4] .

قلت فلو نهج نهج شيخه أبي الدرداء وجعل على كل عشرة عريفـاً ، لبلـغ عدد المتلقين للقرآن في حلقته أربعة ألف دارس . إذا فالقراءات تواترت تواتر قراء ومتلقى بلد بأكمله لا تواتر قارئ بمفرده .

---

١ معرفة القراء الكبار ج١ ص ٤٠ .

٢ قرأ على يحيى بن الحارث الزماري ت١٤٥هـ وقرأ يحيى بن الحارث على ابن عـامر ت١٥٦هـ ـ وقرأ ابن عامر على أبي الدرداء ت٣٢ وتوفي سويد ١٩٤هـ .

٣ معرفة القراء الكبار ج١ ص٤١.

٤ النشر ج٢ ص٢٦٤.

المثال الثاني :

ما جاء في المبسوط في القراءات العشر لمؤلفه أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني ت٣٨١هـ والذي قال عنه ابن الجزري :(ضابط محقق ثقة صالح مجاب الدعوة...) [١] نقل لنا أحمد بن الحسين إمام عصره في القراءات حب واحتفاء أهل الكوفة وقرائها ومحدثيها بقراءة حمزة بن حبيب .

فان قال قائل لمه ؟ فدونك جوابهم (أحب القراءات الينا [٢] وأثبتها عندنا قراءة حمزة لأنا سمعنا سُليم [٣] بن عيسى يقول : قرأت على حمزة القرآن في حياة الأعمش وهو أستاذ حمزة وقرأ حمزة على الأعمش في حياة يحيى بن وثاب وهو أستاذ الأعمش وقرأ يحيى القرآن على علقمة [٤] آية في كل يوم [5] وقرأ علقمة على عبد ا [٦] وأجلسه عبد ا يقرئ في حياته وقال : كل ما أقرأه فعلقمة يقرؤه .. وقال رسول ا ﷺ :(من سره أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرؤه على قراءة ابن أم عبد) [٧] .

لطيفة :-

وأختم بهذه اللطيفة التي جمعت ثلاثة علماء ربانيين : مالك ت١٧٩هـ ، الشافعي ت٢٠٤هـ ، وابن الجزري ت٣٨٣هـ قال ابن الجزري : (ومما يحقق لك أن قراءة أهل كل بلد متواترة بالنسبة إليهم أن الإمام الشافعي رضي ا عنه

---

١ غاية النهاية ج١ ص٥٠ .

٢ المبسوط في القراءات العشر ص(٦٢ – ٦٣) .

٣ أخص اصحاب حمزة واضبطهم عرض عليه الدوري وخاف خلاد ت ١٨٨- ٢٠٠هـ .

٤ سبقت ترجمتهم .

5 وقد جاء أنه قرأ القرآن آية آية أيضاً على عبيد بن نضيلة معرفة القراءج١ ص٦٣ .

٦ عبد ا بن مسعود ولفظ معرفة القراء ما أعلم شيئاً أو ما اقرأ شيئاً الا وعلقمة يعلمه) ج١ ص52 .

٧ الحديث لأبن ماجه بلفظ (من أحب) باب١١ .

جعل البسملة من القرآن مع أن روايته عن شيخه مالك تقتضي عـدم كونهـا مـن القرآن لأنه من أهل مكة وهم يثبتون البسملة بين السورتين ويعدونها من أول الفاتحة آية وهو قرأ قراءة ابن كثير على إسماعيل القسط[1] عن ابن كثير فلم يعتمـد علـى روايته عن مالك في عدم البسملة لأنها آحاد واعتمد على قراءة ابـن كثيـر لأنهـا متواترة وهذا لطيف فتأمله) [2] .

قلت من ينظر في علم الفواصل يجد أن البسملة رأس آية عند أهـل مكـة والكوفيين ، ولا يعدها رأس آية المدنيون والبصريون والشاميون ويعـدون مكانهـا "أنعمت عليهم" فالفاتحة سبع آيات بالاتفاق .

قال الشيخ المتولى[3] في أرجوزته الموجز الفاصل في علم الفواصل :-

بسملةٌ للمك والكوفي تُعَدْ   غيرهما "عليهم" الأول عَدْ [4]

وهذا دليل آخر على تواتر قراءة أهل كل بلد وعلى العمل بالتلقي ، فـالتلقي حجة . ورجح الإمام القرطبي ت ٦٧١هـ قول الإمام مالك ت١٧٩هـ بأن البسملة ليست بآية من الفاتحة ولا غيرها .. قال:(لأن القرآن لا يثبت بأخبار الآحاد وإنمـا طريقه التواتر القطعي الذي لا يختلف فيه)[5] ثم ذكر قـول ابـن العربـي ت ٥٤٤ (ويكفيك أنها ليست من القرآن اختلاف الناس فيها والقرآن لا يختلف فيه) .

---

١ اسماعيل بن قسطنطين قارئ مكة ت١٧٠ وقيل ١٩٠هـ .

٢ منجد المقرنين ص٦٩ .

٣ العلامة محمد بن أحمد الشهير بالمتولي ت١٣١٣هـ .

٤ الموجز ص٥ تحقيق الشيخ عبد الفتاح القاضي ت١٤٠٣هـ .

٥ الجامع لأحكام القرآن ج١ ص٦٦ .

قلت والعلماء حول البسملة ثلاث فئات ، الفئة الأولـى فئـة الإمـام مالـك ت١٧٩ ومن تبعه بأنها ليست آية من الفاتحة ولا غيرها، والفئة الثانية فئة الفقيه عبد ا بن المبارك ت١٨١هـ ومن وافقه من أنها آية في الفاتحـة وغيرهـا ، والفئـة الثالثة فئة الإمام الشافعي من أنها آية من الفاتحة ، وعن بقية السور قال إنها آيـة ، وقال ليست بآية فله في بقية السور الرأيان ولا خلاف بينهم جميعاً في أنها بعض آية من سورة النمل والخلاف اجتهادي ولكل رأي أهله المعتبرون ، وأحاديث تدعمه[١].

والشاهد أن من تلقي الفاتحة عدها آية وهم المكيون والكوفيون ومن لم يتلقها لم يعدها آية ، وهم الباقون .. فالأصل في القرآن التلقي وتـواتر القـراءة .. وا أعلم.

وتلى هذه المرحلة أي مرحلة تلقي الصحابة رضوان ا عليهم مـن سـيد المرسلين ﷺ وتلقي بعضهم من البعض ، فتلقى فضلاء التابعين من الصحابة الكرام وتصديهم للإقراء ليتلقى منهم القراء العشرة ورصفاؤهم . أقول تلى هـذه المرحلـة مرحلة أخرى زاد فيها اتساع رقعة الدولة الإسلامية ، وزاد القراء والمتلقين وعنهـا يحدثنا ابن الجزري :-

(ثم أن القراء بعد هؤلاء المذكورين كثروا ، وتفرقوا في الـبلاد وانتـشروا وخلفهم أمم بعد أمم ، عرفت طبقاتهم واختلفت صفاتهم . فكان منهم المتقن للـتلاوة المشهور بالرواية والدراية ، ومنهم المقصر على وصف من هذه الأوصاف ، وكثر بينهم ذلك الاختلاف ، وقل الضبط واتسع الخرق ، وكاد الباطل يلتبس بالحق فقـام جهابذة علماء الأمة ، وصناديد الأئمة ، فبالغوا في الاجتهاد وبينوا الحـق المـراد وجمعوا الحروف والقراءات ، وعزوا الوجوه والروايات ، وميزوا بـين المـشهور

---

١ انظر المصدر السابق ص٦٥- ٧٦

والشاذ ، والصحيح والفاذ ، بأصول أصولها ، وأركان فصلوها ، وها نحـن نـشير اليها ونعول كما عولوا عليها فنقول :-

(كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التـي لا يجـوز ردهـا ولا يحـل إنكارها) .

ثم قال : - (ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضـعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أو عمن هم اكبر منهم ، هذا هو الـصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف.)

ثم دل على من صرح بهذا الرأي ونص عليه من علماء وأئمـة القـراءات فذكر أبا عمرو الداني ت ٤٤٤هـ ، وأبا محمد مكي بن أبي طالـب القيـسي ت ٤٣٧هـ ، وأبا العباس أحمد بن عمار المهدوي ت بعد ٤٣٠هـ ، وأبا شامة عبـد الرحمن بن إسماعيل ت ٦٦٥هـ .

ثم قال (وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه)[١].. وقد نظم ابن الجزري هذه الشروط في متنه طيبة النشر في القراءات العشر فقال :-

فـكـل ما وافـق وجه نحو	وكان للرسم احتمالاً يحوى
وصح إسـناداً هو القـرآنُ	فهـذه الـثلاثة الأركـان
وحينما يختل ركـن أثـبتِ	شذوذه لو أنه في الـسبعةِ
فكن على نهج سبيل السلفِ	في مُجْمِع عليه أو مُخْتَلفِ

١ النشر ج١ ص٩- ١٠ .

قلت والمتتبع لهذه الشروط يجدها متينة محكمة راسخة البنيـان ، لا سـبيل بعدها لدس أو اجتهاد أو قصور أو نسيان ولئن لم يقم صحة السند مقام التواتر فـان الشرطين الآخرين – موافقة المصحف العثماني ، وموافقة وجه من أوجه النحـو- يرتقيان بصحة السند ليبلغا به منزلة التواتر .

ثم أن العلماء الربانيين الحافظين لكتاب ا ، الدارسين له المبلغين لما بـين دفتيه ، باقون بإذن ا وفضله في كـل عـصر ومـصر ، ينتـصرون للـصحيح المستفيض ، الصحيح السند ، ويفندون ويكتشفون كل شاذ ومبتدع ورد .

وأدل على ذلك فأسوق ثلاث وقائع :-

الواقعة الأولى: استتابة بن شنبوذ :-

وابن شنبوذ هو الإمام أبو الحسن البغدادي محمد بن أحمد بن شنبوذ قـال ابن الجزري:(شيخ الإقراء بالعراق أستاذ كبير أحد من جـال الـبلاد فـي طلـب القراءات مع الثقة والخير والصلاح والعلم)[1].

وقال عنه الذهبي : (وكان ثقة في نفسه صالحاً ديناً ، متبحـراً فـي هـذا الشأن)[2]. وقد جرت معه مناظرة في حروف يقرأ بها وهي من الشواذ فاعترف بها . وعُمل محضر باعترافه بحضرة ابن مجاهد[3] والوزير أبي على ابن مقلة[4] وآخرين ، وقد أغلظ القول للوزير والحضور ووصمهم بقلة المعرفة ، فأمر الوزير ابن مقلـة بضربه سبع دِرر وقيل عشر ، وقيل جُرد من ملابسه ، وكان يدعو في أثناء ضربه

---

١ غاية النهاية ج٢ ص٥٢ .

٢ معرفة القراء ج١ ص٢٧٧ .

٣احمد بن موسى ابن مجاهد البغدادي شيخ عصره وصاحب كتاب القراءات السبع ت٣٢٤ معرفة القـراء ج١ ص٢٦٩.

٤ ابن مقلة ت٣٢٦ كان وزير الخليفة العباسى الراضى ت٣٢٩هـ .

على الوزير ابن مقلة بان يقطع ا يده ويشتت شمله .. وقد استجيب دعاؤه [1] . وا أعلم بسبب الاستجابة والذي اعترف به ابن شنبوذ واستتيب عنه هو ما يلي ، وأبينه بذكر القراءة المتواترة ثم القراءة الشاذة :

- (فاسعوا إلى ذكر الله) الجمعة٩ .. فامضوا إلى ذكر ا

- (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) الواقعة٨٢ .. وتجعلون شـكركم أنكـم تكذبون

- (يأخذ كل سفينة غصبا) الكهف ٧٩ .. يأخذ كل سفينة صالحة غصبا

- (كالعهن المنفوش) القارعة ٥ ... كالصوف المنفوش

- (ننجيك ببدنك) يونس ٩٢.. ننحيك ببدنك[2]

- (تبت يدا أبي لهب وتب) المسد١.. تبت يدا أبي لهب وقد تب

- (فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) سـبأ١٤.. فلما خر تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حـولاً فـي العذاب المهين

- (وما خلق الذكر والأنثى) الليل٣ .. والذكر والأنثى

---

١ فقد نكب ابن مقلة لخلاف بينه وبين الخليفة العباسي الراضي وأعوانه على المال والسلطة ، فقطعت يد ابـن مقلة ثم قطع لسانه وعاش في ضنك حتى وفاته المنية ، انظر الكامل في التاريخ لابـن الأثيـر ج١ص٢٦٥ – ٢٦٦ .

٢ خطأ مطبعي في غاية النهاية ومعرفة القراء إذ كتبت في المرجعين بالجيم وقراءة الجيم المثقلة هـي قـراءة الجمهور المتواترة وقرأ يعقوب بجيم مخففة والقراءة الشاذة (نُنَحيك) بالحاء المهملة وهي قراءة شاذة نسبت لأبي عبد ا محمد بن عبد الرحمن السميفع ، كما انظر ترجمته في غاية النهاية ج٢ ص (١٦١ – ١٦٢).

- (فقد كذبتم فسوف يكون لزاما) الفرقان٧٧ .. فقد كذب الكـافرون فـسوف يكون لزاما
- (وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران١٠٤ .. وينهـون عـن المنكر ويستغيثون ا على ما أصابهم وأولئك هم المفلحون
- (إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) الأنفال ٧٣.. وفساد عريض

الواقعة الثانية : استتابة ابن مِقْسَم ت ٣٥٤هـ :-

هو الإمام أبو بكر البغدادي محمد بن الحسن بن يعقوب بن مِقْسَم (كان من أحفظ أهل زمانه لنحو الكوفيين وأعرفهم بالقراءات) [1] ويورد ابن الجـزري سـبب استتابته : (ويذكر عنه أنه كان يقول أن كل قراءة وافقت المـصحف ووجهـا فـي العربية فالقراءة بها جائزة وإن لم يكن لها سند وأنه عُقد له مجلس ووقف للـضرب فتاب ورجع) [2] .

الواقعة الثالثة : مناظرة هبة الله الواسطي ت٧٤٠هـ :-

هو هبة ا أبو محمد بن عبد ا بن عبد المؤمن الواسطي، قال عنه ابـن الجزري : (شيخ العراق في زمانه والأستاذ العارف المحقق الثقة المـشهور) (قـرأ بالكثير على الشيوخ) وجلس للإقراء بمصر ودمشق والعراق[3] ، وفي النشر ينقل لنا ابن الجزري : (لما قدم الشيخ أبو محمد عبد ا بن عبد المؤمن الواسطي دمشق في حدود سنة ثلاثين وسبعمائة وأقرأ بها للعشرة بمضمون كتابيه الكنز والكفاية وغيـر ذلك . بلغنا أن بعض مقرئ دمشق ممن كان لا يعرف سوى الشاطبية والتيـسير ،

١ معرفة كبار القراء ج١ ص٣٠٧ .
٢ غاية النهاية ج٢ ص ١٢٣ .
٣ غاية النهاية ج١ ص ٤٢٩ - ٤٣٠ .

حسده وقصد منعه من بعض القضاة ، فكتب علماء ذلك العصر في ذلك وأئمته ولم يختلفوا في جواز ذلك واتفقوا على أن قراءات هؤلاء العشرة واحدة ، وإنما اختلفوا في إطلاق الشاذ على ما عدا هؤلاء العشرة وتوقف بعضهم والصواب أن ما دخل في تلك الأركان الثلاثة فهو صحيح ..) [1] .

ونعود مع ابن الجزري وننظر في سفرة القيم غاية النهاية ونتحسر معه بحق حيث يقول مكملاً حديثه عن هبة ا الواسطي : (فلو قرئ عليه بما قرأ أو على صاحبه الشيخ على الديواني الواسطي[2] لاتصلت أكثر الكتب المنقطعة ولكن قصور الهمم أوجب العدم فلا قوة إلا با . وليتهم لو أدركوا ما بقي من اليسير من ذلك قبل أن يطلبوه فلا يجدوه) [3] .

قلت فهذه ثلاث وقائع معروفة في كتب السير ، فابن شنبوذ لم يلتزم برسم المصحف العثماني والتزم بصحة السند ووجه النحو ، أما ابن مِقْسَم فإنه لم يعول على صحة السند والتزم برسم المصحف العثماني ووجه النحو .. فعقد لكل واحد منهما مجلس استتابة كما مضى ذكره .. أما هبة ا الواسطي فقد التزم بالأركان الثلاثة ، ولكنه قرأ وأقرأ بغير التيسير والشاطبية بل بمضمون كتابيه الكنز والكفاية وغيرهما فلم يجد أحد في ذلك بأساً ، ولو اتصلت أسانيده لقرأنا اليوم بما قرأ وأقرأ.

وخلاصة الأمر في كتاب ا القويم ﴿إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون﴾ الحجر٩ ، ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا﴾ الكهف١٠٩ ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مُدَّكر﴾ القمر١٧.

---

١ النشر ج١ ص٣٩ .

٢ أبو الحسن على ابن محمود الواسطي المعروف بالديواني ت ٧٤٣ .

٣ غاية النهاية ج١ ص٤٣٠ .

وما زال الكثيرون إلى يومنا هذا يعتقدون أن علم القراءات مقصور على متن الشاطبية المتضمن لتيسير الداني رغم إجماع علماء الأمة أنهما غيض من فيض ، وقطر قليل من جم وفير .. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ت٧٢٨هـ : (ولذلك لم يتنازع علماء الإسلام المتبعون من السلف والأئمة بأنه لا يتعين أن يقرأ بهذه القراءات المعينة في جميع أمصار المسلمين بل من ثبتت عنده قراءة الأعمش شيخ حمزة أو قراءة يعقوب الحضرمي ونحوهما كما ثبتت عنده قراءة حمزة والكسائي فله أن يقرأ بها بلا نزاع بين العلماء المعتبرين المعدودين من أهل الإجماع والخلاف.) [1]

وخلاصة ما تحرر يتمثل فيما يلي :-

١- القراءات السبع والثلاث المتممة لها قراءات متواترة ولكن القراءات السبع أكثر تداولاً واستفاضة من القراءات الثلاث المتممة لها .

٢- القراءة التي يحكم عليها بالقبول هي القراءة التي تستوفي أركان القرآن الثلاثة صحة السند، موافقة الرسم ولو احتمالاً ، موافقة وجه من أوجه النحو ولو كان أقل ذيعاً من غيره .

٣- ما بين أيدينا اليوم من القراءات ما هو إلا قليل من كثير ، وإن أي قراءة اتصلت أسانيدها ووافقت النحو والرسم فهي قراءة صحيحة ، فليست القراءات وقفاً على التيسير والدرة فالتيسير المتضمن أربعة عشر طريقاً ألف مؤلفه أبو عمرو الداني جامع البيان وجمع فيه نيفاً وخمسمائة طريق ، وابن الجزري صاحب الدرة للقراءات الثلاث المتممة للعشرة حيث لكل قارئ راويان[2] هو أيضاً مؤلف النشر في القراءات العشر والذي حوى تسعمائة واثنان وثمانين طريقاً . ولأبي معشر عبد الكريم بن عبد

---

١ النشر ج١ ص٣٩ .

٢ النشر ج١ ص١٩٠.

الصمد الطبري ت٤٧٣هـ كتاب سوق العروس جمع فيه ألفـاً وخمـسمائة راويـة وطريق [1] .

٤- من أشراط عزة القرآن أن الشيخ المقرئ المهيب إذا أخطأ يرده الطفل الـصغير ، وا سبحانه وتعالى يقيض للأمة دائماً من يكشف الزيف ويزيل الحيـف .. ويبقـى القرآن محروساً من لدن العزيز الحكيم من كل زيادة أو نقصان ، و القـراءة سـنة واتباع ، لا مجال فيها لبدعة أو ابتداع .

ولقد أرسل المصحف العثماني للأقاليم وهو خال من النقط ومع ذلك عجز أهل أنطاكية أن يقرءوا ﴿فأَتَوا أنْ يُضيِّفوهما﴾ لكي ينفوا عنهم صفة البخل وخاب الرافـضة فلم يقدروا أن يضعوا الفتحة مكان الكسرة من اللام من قول ا تعالى ﴿وما كنتُ متخذ المضلين عضدا﴾ يريدون أبا بكر وعمراً ، وما دروا أن قراءة أبي جعفر بتاء الخطـاب للرسول ﷺ ﴿وما كنتَ متخذ المضلين﴾ . وفي ذلك نفي الضلال عن كل من كلفه رسول ا ﷺ أو استعان به في الكثير أو القليل من الأمور . ولـو تـدبروا القـرآن لوقفـوا خاشعين عند شهادة ا بالصلاح لأبي بكر وعمر والدي عائشة وحفـصة رضـي ا عنهم أجمعين . وذلك في قولـه تعـالى : ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ [2] وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ التحريم٤.

والقرآن خال من النقط والحركات وتلقى القراء العشرة ﴿قال عذابي أصيب به من أشاءُ..﴾ الأعراف ١٥٦ ، فهكذا تلقتها الأمصار ، ويقرأ الحسن البـصري

---

١ معرفة القراء الكبار ج١ ص٤٣٦ وغاية النهاية ج١ ص٤٠١.

٢ الوقف على مولاه تام .

وهو على ما هو عليه من التقوى والصلاح والعلم والصدارة ﴿عذابي أصيب به من أساءَ﴾ ، وقراءة الحسن أقرب إلى رسم المصحف غير المنقوط ولكنها لم تتـواتر فعدت من الشواذ فالتلقي حجة وسر من أسرار القرآن العظيم .

واختم بما رواه بسنده أبو بكر أحمد بن موسى صـاحب كتـاب الـسبعة والشهير بابن مجاهد (٢٤٥-٣٢٤) قال : (وحدثني عبيد ا بن على [1] قال حـدثنا ابن أخ الأصمعي عن عمه [2] قال قلت لأبي عمرو بن العلاء ت١٥٤ "وبركنا عليه" "وتركنا عليه" في موضع أيعرف هذا ؟ فقال ما يعرف إلا أنْ يؤخذ مـن المـشايخ الأولين) انتهي .

والآيتان الكريمتان وردتا في سورة الـصافات ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ ١٠٨ ، ﴿وباركنا عليه وعلى إسحق﴾ ١١٣ وقد رسمتا في مصحف عثمان رضـي ا عنه على صورة واحدة .. فرد أبو عمرو بان معرفة القرآن لا تكون إلا بالتلقي والأخذ من أفواه المشايخ العارفين ، قلت والقارئ الحاذق إذا سمع تلاوة زيـد مـن الناس يستطيع أن يقيمها من أول وهلة ويعرف ما إذا كان الذي يتلو أمامه قد أخـذ من شيخ تلى عالم ، أو شيخ دونه ، أو كان القارئ متهاوناً أو مصحفياً لم يتلق من أحـــــد .. والحمـــــد القائــــل : ﴿وإنه لكتاب عزيز (٤١) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ فصلت٤١/٤٢ .

---

١ أحد شيوخ ابن مجاهد ، غاية النهاية ج١ ص٤٨٩ .

٢ قال شوقى ضيف محقق كتاب السبعة لابن مجاهد : وابن أخ الأصمعي هو عبد الرحمن ، كان ثقة فيمـا يرويه عن عمه وعن غيره ، كتاب السبعة ص٤٨ ، والأصمعي هو أبو سعيد الباهلي الأصمعي واسمه عبد الملك بن قريب ، تقريب التهذيب ص٣٦٤.

مَدْخَل

قال الإمام المجمع[1] على تقدمه وتفوقه في عدد من العلوم وعلى صلاحه وتقواه ؛ تلميذ الشاطبي وشارح حرز الأماني وشيخ أبي شامة ، الإمام علم الدين السخاوي علي بن محمد ت ٦٤٣هـ ، قال مدافعاً عن حمزة وقراءته : (وقد تكلم قوم في قراءة حمزة : قال هشام ابن عمار صاحب ابن عامر : حدثنا جنادة بن محمد ، سمعت سفيان بن عيينة يقول : لا تصلوا[2] خلف من يقرأ بقراءة حمزة ، واعتمد من مال على حمزة رحمه ا على هذا ، وذكر أن أحمد بن حنبل رحمه ا كره قراءة حمزة . فأما ما روي عن سفيان بن عيينة ، فإن جنادة ابن محمد غير معروف عند أهل الحديث ، وقد كان هشام بن عمار يروي عن سفيان ابن عيينة فكيف روى عن هذا الرجل المجهول عنه ، وإن صح أن سفيان قال ذلك فهو مجهول عند أهل العلم ، على أن سفيان سمع من غير حمزة قراءة عزاها القارئ إلى حمزة فأنكر ما فيها من الإفراط وتجاوز الحد . وأما قول أبي بكر بن عياش : قراءة حمزة بدعة ، فذلك مما لا يضر ولا يعد طعناً ، فقد يبتدع الشئ ويكون حسناً، على أنه لم يبتدع ذلك ولكنه رواه عن أئمته على ما قدمناه ، ولم يكن أبو بكر رحمه ا يعرف غير قراءة عاصم ، فلما سمع مالم يعرفه أنكره وسماه بدعة . وأما عبد ا بن إدريس فإنه سمع من يقرأ ويتجاوز الحد وينسب ذلك إلى حمزة ، وحمزة برئ منه ، فقال ما قال ، فكان ينبغي له أن يلعن من قرأ تلك القراءة التي سمع ولا يلعن من قرأ بقراءة حمزة. وقد قال شعيب بن حرب : كنت ألوم من يقرأ بقراءة

---

١ وممن أجمع على علم السخاوي وتقواه : ياقوت الحموي في معجم البلدان ج٣ ص١٩٦ . والقفطي في إنباه الرواة ج٢ ص٣١١ . وابن خلكان في وفيات الأعيان ج٣ ص٣٤٠ . وتلميذه أبو شامة ، والسبكي في طبقات الشفاعية ج٨ ص٢٩٧ . والأسنوي في طبقات الشافعية ج٢ ص٦٨ . والذهبي في أكثر من كتاب ومنها كتاب العبر ج٥ ص١٧٨ . والسير ج٢٣ ص١٢٣ . ومعرفة القراء الكبار ج٢ ص٦٣١ . انظر مقدمة جمال القراء وكمال الإقراء ص٤ .

٢ وستأتي ترجمة هؤلاء الأعلام في الفصل الثاني المبحث الثالث إن شاء الله .

حمزة حتى دخلت فقرأت عليه ، فلما رآه شعيب وسمع قراءته رضـيها وقبلهـا ، وكان يقول بعد ذلك لأصحاب الحديث : تسألوني عن الحديث ولا تـسألوني عـن الدر. فقيل له : وما الدر ؟ فقال قراءة حمزة. وأما أحمد بن حنبل رضي ا عنـه فقد قال سويد مضيت أنا وأحمد بن رافع إلى أحمد بن حنبل رحمه ا فقـال : مـا حاجتكما ؟ قلنا : نحن نقرأ قراءة حمزة ، وبلغنا أنك تكره قراءته فقال أحمد رحمه ا : حمزة قد كان من العلم بموضع ، ولكن لو قرأتم بحرف نافع وعاصم ، فدعونا له وخرجنا وخرج معنا الفضل بن زياد ، فقال لنا : إني لأصلي به وأقـرأ قـراءة حمزة فما نهاني عن شئ منها قط)[1] .. والحمد القائل في محكم تنزيله : (إن ا يدافع عن الذين ءامنوا ...) الحج آية ٣٨،

أما وقد انعقد إجماع الأئمة من قراء وفقهاء ومحدثين ومفسرين ونحـويين على تواتر القراءات السبع ومن بينها قراءة حمزة ، فما الذي أثير حول هذه القراءة المتواترة ؟ وما دواعيه ؟ هذا ما أبينه بإذن ا وعونه . ولقد تتبعت ما قيـل عـن قراءة حمزة فوجدته مجتمعاً في : ما نسب للإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ ـ) في المغنى ثم ما زاده صاحب المغنى والشرح الكبير ، وما نسب إلى عبد ا بـن إدريس ت١٩٢هـ . وما ذكره ابن قتيبة في تأويل مـشكل القـرآن ت٢٧٦. وقـد أمعنت النظر والفكر كثيراً فيما كتب ، وتوقفت عند كل كلمة نسبت لأحد المذكورين وا أسأل أن يعينني على إظهار الحق ، وبيانه إنه سميع مجيب ..

---

١ جمال القراء ج٢ ص(٤٧٢ – ٤٧٣) طبعة مطبعة المدني بمصر . تحقيق د. علي حسين البواب .

المطلب الأول : ما جاء في المغني الكبير لابن قدامة المقدسي[1] من كراهية الإمام أحمد لقراءة حمزة والكسائي :-

قال ابن قدامة : (ويقرأ بما في مصحف عثمان ، ونقل عن أحمد : أنه كان يختار قراءة نافع من طريق إسماعيل بن جعفر . قال : فان لم يكن فقراءة عاصم عن طريق أبي بكر بن عياش . وأثنى على قراءة أبي عمرو بن العلاء . ولم يكره قراءة أحد من العشر إلا قراءة حمزة والكسائي . لما فيها من الكسر والإدغام والتكلف وزيادة المد . وروى عن زيد ابن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﷺ قال : " نزل القرآن بالتفخيم" وعن ابن عباس قال : "أنزل القرآن بالتفخيم والتثقيل نحو الجمعة وأشباه ذلك" ونقل عنه التسهيل في ذلك وإن قراءتهما جائزة قال الأثرم : قلت لأبي عبد الله : إمام كان يُصلّي بقراءة حمزة أُصلي خلفه ؟ قال : لا يبلغ به هذا كله . ولكنها لا تعجبني قراءة حمزة[2] .)

ويلاحظ ما يلي :-

أنّ الإمام أحمد اختار قراءة نافع من طريق إسماعيل بن جعفر ت١٨٠هـ وممن روى عن طريق إسماعيل بن جعفر الكسائى والدوري . ولا أعرف اليوم من يقرأ بطريق إسماعيل بن جعفر ، وكذلك فعل أبو العز القلانسي في كتابه ارشاد المبتدئ وتذكرة المنتهي ت٥٢١ ولم يختر طريقه ابن مجاهد صاحب كتاب السبعة (٢٤٥-٣٢٤) ولا تخفي منزلة ابن مجاهد بين أئمة القراء ويكفي لبيان ذلك مقولة شيخه المقرئ أبي العباس أحمد بن يحى الشيباني إمام الكوفة في النحو واللغة

---

١ ابن قدامة هو شيخ الاسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي فالدمشقى. من أهم مؤلفاته في الفقه : المغنى ، والكافي ، والمقنع ت٥٤١هـ ، انظر مقدمة الشرح الكبير ص(٩ – ١٥) .

٢ المغني ج١ ص٤٩٢ والأثرم هو أبو بكر الأثرم من تلاميذ الإمام أحمد ت٢٦١.

والشهير بثعلب (٢٠٠-٢٩١هـ) : (ما بقي في عصرنا هذا أعلم بكتاب الله من أبي بكر بن مجاهد) .

وقول الداني (٣٧١-٤٤٤) :(فاق ابن مجاهد في عصره سائر نظاره من أهل صناعته مع اتساع علمه وبراعة فهمه وصدق لهجته ونسكه)[1] وكان في حلقته أربعة وثمانون خليفة يأخذون على الناس ، وقد أسدى لأمة الإسلام الخير الوفير بانتقائه لأئمة القرآن السبعة وعلى نهجه واختياره سار الداني في كتابه التيسير والشاطبى في حرز الأماني ، فقد فحص ابن مجاهد القراءات والقراء واختار أفضل الطرق وأصحها بعد أن أخذ العلم من جهابذة عصره ثم تصدى للإقراء قرابة الخمسين عاماً يفد اليه طلاب القراءات من سائر الأمصار وفي ذلك يقول ابن الجزري : (واشتهر أمره وفاق نظائره مع الدين والحفظ والخير ولا أعلم أحداً من شيوخ القرآن أكثر تلاميذاً منه، ولا بلغنا ازدحام الطلبة على أحد كازدحامهم عليه)[2].

وقد نظر بنهية العارف الأمين المبصر المتقي ربه ، إلى صنوف القراء فاذا هم ثلاثة أصناف : السبعة القراء المشهورين الذين يحملون اسم كتابه وهم الصنف الأول وفيهم يقول (فمن حملة القرآن المُعْرِب العالم بوجوه الإعراب والقراءات العارف باللغات ومعانى الكلمات البصير بعيب القراءات المنتقد للآثار فذلك الإمام الذي يفزع اليه حفاظ القرآن في كل مصر من أمصار المسلمين)[3] والصنف الثاني يؤدي ما سمعه ويجهل الإعراب فهو عرضة للنسيان لاعتماده على حفظه وسماعه ، والصنف الثالث يُعرب القراءة ويبصر المعاني ويعرف اللغات ولكن لا علم له

١ كتاب السبعة لابن مجاهد ص١٧ .

٢ غاية النهاية ج١ ص١٤٢ .

٣ كتاب السبعة ص٤٥.

بالقراءات واختلاف الناس والآثار ، وهذا قد تقوده معرفته بالإعراب إلى القراءة بوجه يصح لغة ولم يقرأ به أئمة السلف [١] .

وقد اجتهد ابن مجاهد في اختيار القراء السبعة ، ونهجت الأمة الإسلامية نهجه إلى يومنا هذا في تلقي قراءة من اختارهم ، وقد طلب منه بعض تلاميذه لمـا خبـروا باعه الطويل ومعرفته الوافية بعلم القراءات ، طلبوا منه أن يختار طريقـاً لنفـسه لا يخرج فيه عن إجماع الأمة ، فماذا كان رده ؟ قال لهم (نحن على أن نُعْمِل أنفسنا فـي حفظ ما مضى عليه أئمتنا أحوج منا إلى اختيار حرف يقرأ به من بعدنا) [٢] .

وابن مجاهد من أعلم القراء بقراءة حمزة فقد تلقاها عن أبي الزعـراء عبـد الرحمن بن عبدوس البغدادي الثقة الضابط توفي بعد ٢٨٠هـ وقرأ أبو الزعراء على أبي عمر الدوري راوي أبي عمرو والكسائي ت٢٤٦ وقرأ الدوري على سُليم ت ١٨٨ وقرأ سُليم على حمزة ، فليس بينه وبين حمزة في السند إلا : أبو الزعراء والـدوري وسُليم .

وينقل إلينا ابن مجاهد بسنده عن محمد بن الهيثم [٣] ت٢٤٩ : "أدركت الكوفـة ومسجدها الغالب عليه قراءة حمزة . ولا أعلمني أدركت حلقة من حلق المسجد الجامع يقرؤون قراءة عاصم" [٤] .

وكذلك قال ابن مجاهد (.. وصار الغالب على أهل الكوفة إلى اليوم قـراءة حمزة ابن حبيب) [٥] .. وابن مجاهد الذي تخير القراء السبعة ورواتهم وسـار مَـنْ بعده على نهجه هو الذي تصدى لمن خالف أركان القراءة الـصحيحة وقـد سـبق

---

١ باختصار من كتاب السبعة ص٤٥ – ٤٧.

٢ كتاب السبعة ص٢٤ .

٣ أبو عبد ا محمد ابن الهيثم الكوفي ثقة حاذق.

٤ كتاب السبعة ص٧٦.

٥ المصدر السابق ص٧١.

تصديه لابن شنبوذ حينما خالف رسم المصحف العثماني ولابن مِقْسم حينما لم يعتـد بالسند .. فلم يكن اختياره عشوائياً ولكنه اختيار العالم الحاذق النحرير . فبـارك ا في اختياره وجعله سبباً من أسباب حفظ القرآن الكريم الذي تعهد بحفظه في محكـم تنزيله بقوله : ﴿ إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾ الحجر٩ .

والإمام أحمد في اختياره لطريق إسماعيل بن جعفر لم يخـرج مـن سـنة المصطفى ﷺ فقد اختار قراءة أهل المدينة ، مؤثراً الطريق الأسهل عمـلاً بقـول المصطفى ﷺ (فاقرؤوا ما تيسر منه) ودليل ذلك أنه لم يطق قراءة حمزة والكسائي لما فيها من الكسر والإدغام والكسر هو الإمالة الكبرى وهي ان تنحو كثيراً بالالف نحو الياء ، وبالفتحة نحو الكسرة . فتخير الطريق الذي يخلو منهما . وقد قلت (لـم يطق) وهي الكلمة الصحيحة لتفسير قولهم عن أحمد (ولم يكره) فقـد ورد الكـره بمعنى ما يشق على الإنسان تحمله في قوله تعالى : ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ﴾ البقرة ٢١٦ .

قال الزجاج[١] :(ومعنى كراهيتهم القتال أنهم كرهوه على جنس غلظه عليهم ومشقته لأن المؤمنين لا يكرهون فرض ا ، لأن ا تعالى لا يفعل إلا مـا فيـه الحكمة والصلاح)[٢] .

قلت ودليل ذلك قول ا تعالى عن الكفـار : ﴿ ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾ القتال٩ فحبطت أعمال الكفار لأنهم كرهوا فرض ا ، بينما يكره المؤمن القتال لما يجده فيه من المشقة والعنت مع التسليم بأمر ا وعلمه وحكمتـه وعزته .. وجاء الكره بمعنى المشقة المتحصلة ، أيـضاً فـي الحـديث الـشريف

---

١ الزجاج هو أبو اسحق إبراهيم بن السرى بن سهل البغدادي من علماء النحو واللغة ت(٣١١هـ) .

٢لسان العرب ج١٢ ص٨٠ باب كره .

(...وإسباغ الوضوء علي المكاره) فالمكاره جمع مكره بمعنى ما يشق على الإنسان ويصعب عليه تحمله كالوضوء في البرد الشديد .

وكذلك قرأ حمزة والكسائي وعاصم وابـن ذكـوان ويعقـوب :﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كُرها ووضعته كُرها ﴾ الأحقاف ١٥ ، بضم الكـاف في الموضعين ، فهل وصية ا للإنسان بالإحسان إلي والديه إلا لما يتكبـدان مـن مشقة في رعاية الأبناء ؟ الأب بمشقة الكد والسعي وراء الرزق والأم بالمشقة التي تجدها في الحمل وفي الولادة والرعاية. وكيف يجتمع الكره بمعنى البغض والمحبة التي أودعها ا في قلوب الوالدين ؟!

إذن ما أرى الكره الذي نسب للإمام ابن حنبل إلا من باب المشقة وقـد دل على ذلك بقوله :(لما فيها من الكسر والإدغام) فمن لم يطق قراءة الإمالة والإدغـام يجد بغيته في قراءة الفتح والإظهار ، وهذا هو سبب تعدد القراءات ، أي التـسهيل على الأمة وهذا ما يناسب الإمام أحمد العالم بالقرآن والحديث ، فقد أخذ عنه حفظاً (ألف ألف) حديث ، وشهد جنازته أكثر من (ألف ألف وخمسمائة ألف) وأسلم يـوم موته عشرون ألفاً من اليهود والنصارى والمجوس ، وحدث وقد سئل عـن سـتين ألف مسألة ، فأجاب فيها من ذاكرته بان قال حدثنا وأخبرنا وروينا.

وهيهات لمثله أن يكره ما أنزل ا ، وجدير بمثله أن يختار الأيـسر أسـوة برسول ا ﷺ والمتأسي قولاً وفعلاً بالقرآن الكريم القائل : (فاقرؤا مـا تيـسر منـه) وصدق من قال في الإمام أحمد :-

حوى ألف ألف من أحاديث أسندت وأثبتها حفـظا بقلب محصل

أجاب على ستين ألـــف قضـية بإخبارنا لا من صحائف نُقل

وعشرون ألفاً أسلموا حين عاينوا جنازته من كل صنف مضال

وصلى عليه ألف ألـف موحـد وسُتُمِئى ألف فأعظم وأكمل [1]

أما قوله (والتكاف وزيادة المد) فسأتناوله إن شاء ا عند ذكر ما ينسب لعبـد ا ابن إدريس وأما حديث أنزل القرآن بالتفخيم ، فقد رواه الألباني في ضعيف الجامع الصحيح بعبـارة (أنـزل القـرآن بـالتفخيم ﴿كهيئة الطير﴾ ، ﴿عذراً أو نذراً﴾ ، و﴿الصدفين﴾ ، و﴿ألا له الخلق والأمر﴾ وأشباه هذا في القرآن) . وقال عنه مُنكر[2] . قلت ولو صح الحديث فلا يمكن الاستدلال بمثله على تفضيل قـراءة علـى أخـرى ، فالقرآن أنزل بلسان عربي وليس بلسان قرشيّ وإن غلبت عليه لغة قريش .

وفي البخاري قول عثمان [3] رضي ا عنه للأربعة الذين أوكلت لهـم مهمـة نسخ المصاحف العثمانية (إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القـرآن فاكتبوها بلسان قريش فإن القرآن أنزل بلسانهم ففعلوا) [4].

وفي ذلك دلالة على تغليب لغة قريش عند الاختلاف فقط ، ثم إن القـراءة لا يمكن وضعها في قالب محدد فهي سنة متبعة لا تتقيد بشرط بل الأصل فيها التلقـي والسماع ، فقد قرأ الجمهور من أهل مكة والمدينة ومن وافقهم ﴿يعرِشون﴾ بترقيق الراء ، وقرأ ابن عامر الشامي وشعبه ﴿يعرُشون﴾ بتفخيمها .

---

١ ضعيف الجامع الصغير للألباني ١٠٦٧ انظر موسوعة الدرر السنية الألباني www.dorar.com .

٢ كتاب الزهد ص(١١ – ١٢) .

٣ انظر الاتقان ص٧٩ .

٤ البخاري ج٦ ص٩٧ ، زيد هو أبو سعيد زيد بن ثابت بن الضحاك الأنـصارى البخـاري ، صـحابي مشهور من الراسخين ومن كتاب الوحي ت بين ٤٨و٥٠هـ تقريب التهذيب ص٢٢٢ والثلاثـة الآخـرون قرشيون هم عبد ا بن الزبير بن العوام أول مولود من المهاجرين بالمدينة في الإسـلام ولـى الخلافـة ٦٤هـ ومات ٧٣هـ التقريب ص٣٣. وسعيد بن العاص بن سعيد بن العاص استشهد والده في بدر ، وولد هو قبل وفاة الرسول ﷺ لتسع سنوات ت ١٥٨هـ التقريب ص٢٣٧،وعبد الرحمن بن الحارث بن هـشام من كبار ثقاة التابعين له رؤية ت ٤٣هـ التقريب ص٣٣٨

وقرأ ابن كثير ومعه السوسى عن أبي عمرو ويعقوب بإسكان الراء مفخمة في لفظ (أرنا وأرنى) ، وقرأ الجمهور بالكسر مرققة ، وقرأ الدوري عن أبي عمرو باختلاس كسرة الراء مرققة ، فجمع أبو عمرو في قراءته بين الترقيق والتفخيم مـع أن مصدر قراءته مكة ، ولو كان للتفخيم أصل لفضله من الروايتين ولا ينبغي لـه فالقراءة سنة متبعة ، وقرأ ورش من قراءة نافع المـدني ﴿فيكون طائراً﴾ بـراء مرققة ، وقرأ المكي والباقون ﴿فيكون طيراً﴾ آل عمران٤٩ براء مفخمة . وقـرأ ورش بترقيق الراء المفتوحة والمضمومة إذا وليت كسرة متصلة أو ياء سـاكنة أو انفصلت عن الكسرة بحاجز ضعيف وقرأ الجمهور بتفخيمهما . والأمثلة كثيـرة لا تحصى وإنما ذكرت ما ذكرت منها لبيان أن لا أصل لهذا الحديث في تفضيل قراءة على أخرى ، فضلاً عن أنه منكر عند الألباني ويصعب وصف قراءة من العشر أو من الشواذ بأنها مفخمة ، فضلاً على الاختلاف فيما يعني لفظ "التفخيم" .

كذلك ذكر السيوطي في الإتقان بعد أن أورد الحديث الذي أنكـره الألبـاني وقال : (قلت أخرجه ابن الأنباري في كتاب الوقف والابتداء فبين أن المرفوع منـه أنزل القرآن بالتفخيم، فقط وإن الباقى مدرج من كلام عمار بن عبد الملك أحد رواة الحديث) [1] .

وعدم اختيار الإمام ابن حنبل لطريق الإمالة ، لا يقلل من دورها أو ينفـي تواترها ، ولكنه اختيار شخصي فالمكى لم يمل حرفاً واحداً في القرآن بينمـا بقيـة المصاحف العثمانية جميعها أثبتت الإمالة فلورش الإمالة الصغرى ولحمزة والكسائي

---

١ الاتقان ص ٦٠ وابن الأنباري هو محمد بن القاسم بن بشار صاحب الإيضاح في الوقـف والإبتـداء ت ٣٢٨هـ ، المكتفي ص٦٤ . أما عمار بن عبد الملك فقد ذكر الذهبي اثنين فقط بهذا الاسم قال عن الأول : (مغفل سئ الحفظ عابد) وقال عن الثاني : (أتي بالعجائب) ولم يذكرهما ابن حجر في التقريب "انظر ميزان الاعتدال للذهبي ج٢ ص١٦٥".

الإمالة الكبرى وجمع أبو عمرو بين الإمالتين وهم المكثرون والباقون من العشرة لهم الإمالة ولكنهم مُقِلاون .

والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس والفتح لغة أهل الحجاز وأورد السيوطي في الإتقان عن أبي بكر بن شيبة ت ٢٣٥هـ عن وكيع بن الجراح ت١٩٧ عن سليمان بن مهران الأعمش ت ١٤٨ عن إبراهيم النخعي ت ٩٥ قال : (كانوا يرون أن الألف والياء في القراءة سواء . قال يعني بالألف والياء التفخيم والإمالة)[١] . وفي الإمالة أيضاً اتباع لرسم المصحف إذ رسمت الياءات في موضع الألفات ، مثل يحيى ، اشترى ويسعى ، وذكر السيوطي أيضاً في الاتقان حديث صفوان بن عسال[٢] (أنه سمع رسول ا ﷺ يقرأ يا يحيى ، فقيل يا رسول ا تميل وليس هي لغة قريش . فقال هي لغة الأخوال بني سعد)[٣].

وتبقي عبارة (ورُوى عنه التسهيل في ذلك) وهذه العبارة قد لا يحسن فهمها من لا يعرف جوانب من شخصيته الإمام أحمد .. فلم يكن يرحمه ا – مع ما عرف عنه من اللين – يتساهل في أمر من أمور الدين فتساهله دليل على ترجيحه لقراءة دون الأخرى ، إنما كان من باب الندب والاختيار ، ومن غضبته للحق ينقل لنا الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزى [٤] في كتابه مناقب الإمام أحمد ما دار في قصر الخليفة المأمون لإجباره على القول بخلق القرآن (وكان أبو عبد ا أحمد

---

١ الاتقان ص٦٠ وابن الأنباري هو محمد بن القاسم بن بشار صاحب الايضاح في الوقف والابتداء ت ٣٢٨هـ .

٢ صفوان بن عسال المرادي صحأبي معروف نزل الكوفة ، أحاديثه عند الترمذي والنسائي وابن ماجة .

٣ انظر الاتقان ج١ ص ١٢٠ .

٤ الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى جمال الدين الفقيه الحنبلي الواعظ (٥١٠ – ٥٩٧) تذكرة الحفاظ ج٤ ص١٣٥.

بن حنبل قد أحضر وكان رجلاً ليناً ، فلما رأي الناس يجيبـون انتفخـت أوداجـه واحمرت عيناه وذهب ذلك اللين الذي كان فيه) [١] .

وقوله يجيبون : أي يوافقون الخليفة المأمون أن القرآن مخلوق .. وتحمـل السجن والسلاسل والجوع والضرب حتى أن جلاده قال (لقد ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطاً لو ضربته فيلاً لهدته) [٢] ، وهو يعرض عن رفيق عمره إمام الجـرح والتعديل يحيى بن معين وعن كل من أجاب خلفاء بن العباس بخلق القـرآن وكـان يرى ألا يكتب عنهم الحديث [٣] قال ابن الجوزى : (وعاده يحيى ابـن معـين فـي مرضه فولاه ظهره وأمسك عن كلامه حتى قام وهو يتأفف ويقول بعـد الـصحبة الطويلة لا أُكلم) [٤] .

ولعلى أختم ما نسب للإمام أحمد بما يزيل لكل لبس وشبهة .. مثبتاً ما جاء عن الإمام السخاوي في جمال القراء ما نصه : (وأما أحمد رضي ا عنه فقد قـال سويد ، مضيت أنا وأحمد بن رافع إلى أحمد بن حنبل رحمه ا فقال : ما حاجتكما؟ قلنا نحن نقرأ قراءة حمزة ، وبلغنا أنك تكره قراءته ، فقال أحمد رحمه ا : حمزة قد كان من العلم بموضع . ولكن لو قرأتم بحرف نافع وعاصم فدعونا له وخرجنـا وخرج معنا الفضل ابن زياد فقال لنا : إني لأصلي به وأقرأ قراءة حمزة فما نهاني عن شئ منها قط) [٥] .

هذا ما يدور من قول للإمام أحمد بن حنبل من قراءة حمزة وأني لأسأل ا أن أكون قد وفقت في دفع اللبس الذي يلحق قراءة حمزة من الجاهلين الذين يلقـون

---

١ مناقب الامام أحمد ص٣٨٨ .

٢ المرجع السابق نفسه ص ٤١٢.

٣ المرجع السابق ص٤٧٣.

٤ المرجع السابق ص٧٤.

٥ جمال القراء ج٢ ص٤٧٣ .

الكلام على عواهنه فيلحق جهلهم الضرر بإمامين من أئمة القرآن الكـريم والـسنة المطهرة .

لطيفة :

قال الإمام الشافعي عن الإمام أحمد : (أحمد إمام في ثمان خصال : إمام في الحديث، إمام في الفقه ، إمام في اللغة ، إمام في القرآن ، إمام في الفقر ، إمام فـي الزهد ، إمام في الورع ، إمام في السنة) [1] . والدارس لسيرة الإمام حمـزة يجـده إماماً في الخصال الثمانية ، أسأل ا أن تكون هذه الخصال مدعاة لدخولهما ومـن أحبهما من أي باب شاؤا من أبواب الجنة الثمانية . إنه سميع مجيب .

المطلب الثاني : الرد على ما زاده صاحب الشرح الكبير على ما جاء في المغنى :

صاحب الشرح الكبير على متن المقنع هو عبد الرحمن بن أحمد بن قدامـة المقدسي ت٦٨٢هـ وهو ابن أخ موفق الدين صاحب المغنى ، وقد زاد على مـا ذكره عمه في المغنى ، وليته لم يزد .. ومما ذكره عن قراءة حمزة والكسائي قوله : "ولأنها تتضمن الإدغام الفاحش وفيه إذهاب حروف كثيرة من كتـاب ا تعـالى ينقص بإدغام كل حرف عشر حسنات" وأحسب أن هذه المقولة إنما هي زلة عـالم وذلك من عدة وجوه :-

١- الطعن في قراءة متواترة لا ينبغي لأحد فتواترها وإجماع أهل العلم علـى تواترها يعني أنها من لدن العزيز الحكيم فكيف يسوغ الطعن فيها ؟!

٢- العبارة تدل على عدم إلمام بلغة القرآن الكريم ورسمه فالكلمات المدغمـة في القرآن لا تحصى ولا تعد ، وتكاد تشمل كل آية من كتاب ا وقد تناول العلامة أبو محمد مكي بن أبي طالب القسي ت٤٢٧ في كتابـه الرعايـة

---

١ مقدمة المفتي والشرح الكبير ص٦ .

لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، صنوف الإدغام فذكر منها مـا هـو مشدد في الوزن يشدد في اللفظ كما يشدد في الوزن وهذا تشديده بالغ مثل (مبينة ، علم ، صلى) ثم قال (وهو كثير) وذكر منها مـا أصـله حرفـان منفصلان في الوزن ويشدد للإدغام ومثاله (ميت ، هين ، سيد) ثـم قـال (وهو كثير أيضا) وذكر منها ما هو كلمتين ووقع التشديد لأجـل الإدغـام نحو (بل ران ، من لدنه ، من ربهم) ثم قال (وهو كثير) واستطرد مكي في بيان المشدد فعدد عشرة أصناف أخرى [1] .

٣- وقال صاحب الشرح الكبير عن الإدغام (وفيه إذهاب حروف كثيـرة مـن كتاب ا تعالى ينقص بإدغام كل حرف عشر حسنات).

وهذه عبارة مجافية للصواب موغلة في الخطأ من عدة وجوه ، فالإدغام لغة هو (الإدخال) يقال أدغم الفرس اللجام أي أدخله في فيـه ، وقـال ابـن الجـزري (الإدغام هو اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً) [2] .

وقال مكي في الرعاية في معرض حديثه عن المشدد المفرد (وكل حـرف مشدد مقام حرفين في الوزن واللفظ) [3] فالحرف لم يذهب كما قال صاحب الـشرح الكبير بل أبدل بحرف مشارك له في الصفة أو المخرج أو فيهما معاً . ومن يلفـظ أي كلمة مدغمة يتبين له بجلاء ووضوح أنه يلفظ الحرف المشدد حرفين ولا يحتاج لأكثر من التطبيق ففي مثل (اتخذت) فالمُظْهِر يلفظ الذال ساكنة فالتـاء متحركـة ، والمُدْغِم يلفظ تاءين (اتخذت) الأولى ساكنة والثانية متحركة .

---

١ انظر الرعاية ص ٢٤٥- ٢٥٢

٢ النشر ج١ ص ٢٤٥- ٢٥٢

٣ الرعاية ٢٤٥

وقد يتوالى الإدغام فيجتمع حرفان مشددان متواليان ، فمن لم يحسن التشديد أسقط بعضها ، وفي ذلك يقول الإمام مكي أبو طالب في الرعاية (فاذا اجتمـع فـي اللفظ حرفان مشددان فهما بوزن أربعة أحرف فيجب على القارئ أن يبين ذلك فـي لفظه ويعطى كل حرف حقه من التشديد البالغ والتشديد المتوسط ومتى فرط في ذلك فيهما أسقط حرفين من تلاوته وإن فرط في أحدهما أسقط حرفاً من تلاوته) [1] .

ثم ساق الإمام مكي الأمثلة ومنها : يطهرون وأصله يتطهرون ، ويـصعد وأصلها يتصعد ، ثم قال :(ثم ُأدغمت التاء في ما بعدها ، والمشدود الثاني في ذلـك كله بإزاء عين مشدودة في الوزن وهو أصلي) [2] .

ومن ذلك يتبين أن الذي ينقص الحروف ليس الإدغام إنما هو ضعف الأداء ، والتلقي، ولا يعيب الإدغام ولا ينقِص منه شيئاً أن يسمع من فيه مـن لا يحـسن لفظه . والإدغام كثير في كلام العرب ، وذلك لسهولة لفظ الحرفين المدغمين وبـه نزل القرآن الكريم واختصت به معظم الحروف ، فزاده ذلك شرفاً وعلواً .

وهنالك عوامل تضعف التشديد وتجعله على مراتب من الشدة والقوة ذكرها الإمام مكي قائلاً (كل مدغم بقيت فيه غنة مع الإدغام ظاهرة أو بقي فيـه إطبـاق ظاهر ، أو استعلاء لم يدغم ، نحو : (من يؤمن) ، (من وال) ، (من نور) ، (من ماء) ، (أحطت بما) ، (ما فرطت)، (لئن بسطت) و (ألم نخلقكم) شبيهة) [3] .

---

١ الرعاية ٢٤٧.

٢ الرعاية ٢٤٨.

٣ قال ابن الجزري في نشره : (على أن الحافظ أبا عمرو حكى الإجماع على أن إظهار الصفة أيضاً غلط وخطأ فقال في الجامع ، وكذلك أجمعوا على إدغام القاف في الكاف وقلبها كافاً من غير إظهار صوت لها في ألم نخلقكم) النشر ج٢ ص٢٠.

قلت فهذا تقصي جيد يومئ إلى معرفة ودراية بتحقيق لفظ التلاوة ، وطبقات المشدد ، فالأربعة أمثلة الأولى تشديدها أقل من تشديد مثل (بل ران) وذلك بـسبب الغنة ، والثلاثة أمثلة التي بعدها أيضاً أقل تشديداً بسبب الإطباق الذي في الطـاء ، والمثال الأخير بسبب الاستعلاء في القاف ، وهو غير مقدم عند أئمة هذا العلم بـل يكون النطق بكافين مستفلين وتذهب صفة الاستعلاء [1] .

والغريب أن صاحب الشرح الكبير على المغنى انتصر لقراءة حمـزة مـن حيث أراد الطعن فيها ، فخلف عن حمزة هو الراوي الوحيد الذي لم يـدغم النـون الساكنة والتنوين في الواو والياء بغنة فإدغامه فيهما كامل مثـل ﴿بل رَّان﴾ ، ولا يخفي الدور الكبير في القرآن الكريم للإدغام بغنة في النون الساكنة والتنـوين مـع الواو والياء حتى إنه يُفضل أفراد ختمة لرواية خلف عن حمزة وختمة أخرى لرواية خلاد ، لكثرة دور هذا الإدغام وإن جُمعتا معاً استغرق وقت الختمة وقت ختمتين .

قال الإمام ابن الجزري :(الإدغام بالغنة في الواو والياء وكذلك فـي الـلام والراء عند من روى ذلك هو إدغام غير كامل من أجل الغنة الباقية معه) ، ورواية خلف عن حمزة فيها الإدغام الكامل لأنه يدغم بغير غنة ، من طريق التيسير [2] .

وأتوقف عند قول صاحب الشرح الكبير :(ولأنها تتضمن الإدغام الفـاحش) فرغم بيان أن الإدغام لا يُسقط حرفاً بل لابد من لفظ الحرف المشدد حرفين ، همـا حرف ساكن وآخر متحرك ، رغم ذلك فإن الإدغام في قراءة حمزة ليس بالمبالغ فيه

---

١ وفي ذلك قلتُ : إدغام نخلكم هديتَ لكاملً   لكأنما الحرفان مستفلان

٢ أما الواو والياء فالإدغام فيهما بغنة لجميع القراء عدا خلف عن حمزة فله الادغام بغير غنة وذلك مـن طريق التيسير، وأما الادغام بغنة في اللام والراء فهو من طريق الطيبة وهي للعشرة عدا شـعبة وحمـزة والكسائي وخلف العاشر ، قال ابن الجزري في طيبة النشر : وأدغم بلا غنةٍ في لام ورا   وهي لغيـر (صحبةٍ) أيضاً تُرى انظر النشر ج٢ ص٢٣ – ٢٤.

إلى درجة وصفه بالفاحش وأسوق لذلك مثالاً من سورة البقرة فكلماتها ستة آلاف كلمة ومائة وإحدى وعشرون كلمة ، وحروفها خمس وعشرون ألف وخمسمائة حرف[1].

فكم حرفاً أدغم حمزة من هذه الحروف أدغم فقط ثمانية في اثنتى عشرة موضعاً هي: ﴿اتخذتم﴾ في الآيات ٥١ ، ٨٠ ، ٩٢ ، وأدغم من دال قد ﴿لقد جآءكم﴾ ٩٢ ، ﴿فقد ظل﴾ ١٠٨ ﴿فقد ظلم﴾ ٢٣١،وأدغم ذال إذ في التاء ﴿إذ تبرأ﴾ ١٦٦،وتاء التأنيث في السين ﴿أنبتت سبع﴾ ٢٦١ وأدغم الباء الساكنة في الميم ﴿يعذب من يشاء﴾ ٢٨٤ ، وأدغم الثاء في التاء من ﴿لبثت﴾ في مواضعها الثلاثة في الآية ٢٥٩ ولم ينفرد حمزة بإدغام حرف واحد من هذه الحروف .. وأبدل حمزة الهمزة من خطيئته ياء وأدغمها في الياء ﴿خطيئة﴾ ٢٥٦ وذلك في حالة الوقف عليها فقط ومثلها ﴿شيئاً﴾ ٤٨ في حالة الوقف ويجوز له فيها نقل حركة الهمزة على القياس فأين هو الإدغام الفاحش ؟ .

ويستطرد صاحب الشرح الكبير فيقول عن قراءة حمزة والكسائي :(ورويت كراهتها والتشديد فيها من جماعة من السلف) . ثم ذكر منهم سفيان الثوري ت١٦١، وسفيان ابن عيينة ت١٩٨ ثم نسب لابن عيينة هذا القول (لو صليت خلف إمام يقرأ قراءة حمزة لأعدت صلاتي) ثم نسب إلى أبي بكر بن عياش راوي عاصم وهو شعبة ت١٩٣ ما يلي (قراءة حمزة بدعة) ثم نسب إلى بشر بن الحارث ت٢٢٧هـ القول التالي (يعيد إذا صلى خلف إمام يقرأ بها) .

قلت هذا كلام يتعذر قبوله لعدة أسباب :

---

١ منار الهدي للأشموني ص ٢٨.

توفي صاحب الشرح الكبير ٦٨٢هـ فالفاصل الزمنى بينه وبين الثوري وابن عيينة وشعبة يقارب أو يزيد على الخمسة قرون ، فما مصدره الذي تلقي منه هذه الأقوال ؟ ولماذا لم يذكر سنده الذي بلغته به هذه الأقوال ؟ أو سند من رويت عنه ؟ أهكذا يكون الطعن في المتواتر ؟ أما سفيان الثوري فقد ختم على حمزة أربع[1] ختمات فكم تستغرق الختمة الواحدة؟ وهل يستقيم أن يروى عمن يختم عند شيخه أربع ختمات أنه يكره قراءة شيخه المتواترة ويشدد على ذلك !! وقد مات حمزة ١٥٦هـ ومات سفيان بعده بخمسة أعوام ، وخَلَفَ سُليم ابن عيسى حمزة في الإقراء في الكوفة وتوفي سُليم ١٨٨هـ وكان كما في الكبار (صاحب حمزة الزيات وأخص تلامذته به وأحذقهم بالقراءة وأقومهم بالحرف وهو الذي خلف حمزة في الإقراء بالكوفة) [2] .

أما سفيان بن عيينة فقد روى عن سليمان بن مهران الأعمش شيخ حمزة وقال عن الأعمش :(كان الأعمش أقرأهم لكتاب ا وأحفظهم للحديث وأعلمهم بالفرائض) [3] . وقد توفي ابن عيينة ١٩٨ ومات سُليم راوي حمزة وخليفته في الإقراء ١٨٨هـ ، وممن أخذ عن سُليم قراءة حمزة بالكوفة خلف البزار ت٢٢٩ وخلاد بن خلاد ت٢٢٠ ، وسفيان ابن عيينة من أعلام الإسلام فخلف من صلى غير هؤلاء المتقنين لقراءة حمزة وهي التي كانت سائدة في مساجد الكوفة !!

---

١ معرفة القراء ج١ ص١١٣ وغاية النهاية ج١ص٣٠٨.

٢ معرفة القراء ج١ ص١٣٨ .

٣ معرفة القراء ج١ ص٩٥ .

وقد سبق أن أوردت ما رواه ابن مجاهد بسنده عن محمد بن الهيثم ت٢٤٩ قال : (أدركت الكوفة ومسجدها الغالب عليه قراءة حمزة) . وقـول ابـن مجاهـد ت٣٢٤ (وصار الغالب على أهل الكوفة إلى اليوم قراءة حمزة) [1] .

وتوفي ابن مجاهد بعد ابن عيينة بأكثر من قرن ، فخاف مـن صـلى ابـن عيينة حتى ينسب إليه أنه لو صل خاف من يقرأ بقراءة حمزة أعاد ؟ وقراءة حمزة هي السائدة قبله وبعده يتلقاها ثبت عن ثبت.

ثم نسب صاحب الشرح الكبير إلى شعبة أبي بكر بن عياش أحد رواة قراءة عاصم ما يلي (قراءة حمزة بدعة) والرد على ذلك من عدة وجوه :-

- الوجه الأول : عاصم وحمزة كوفيان ومن شيوخ حمزة أبو إسحق عمرو بن عبد ا السبيعي ت١٣٢هـ وقد قرأ السبيعي على أبي عبد الرحمن السلمي ت٧٣ وزر ابن حبيش ت٨٣ وهما شيخا عاصم ، ومنتهي قـراءة حمـزة وعاصم عند علي بن أبي طالب وعبد ا بن مسعود رضي ا عنهما عـن الرسول ﷺ فمنهلهما واحد وكلاهما كوفي .
- الوجه الثاني : أبو بكر شعبة لم يحسن أي قراءة أخرى غير التي تلقاها من عاصم فكيف ينسب له ما ليس له به علم وفي أمر يختص بكلام ا ؟

وفي معرفة القراء للذهبي وجمال القراء للسخاوي عن يحيى بن آدم قـال : (قال لي أبو بكر تعلمت من عاصم القرآن كما يتعلم الصبي من المعلم ، فلقي منـي

---

١ السبعة ص ٧٦ وص٧١ .

شدة ، فما أحسن غير قراءته وهذا الذي أخبرتك به من القرآن إنمـا تعلمتـه مـن عاصم تعلما) [1].

قلت كان شعبة عليه رحمة ا ورضوانه كما في كتـب الـسير عابـداً ، خاشعاً، خيراً، فاضلاً ، قال يحيى بن معين (لم يفرش لأبي بكـر فـراش خمـسين سنة)، وشعبة هو القائل : (أدنى نفع السكوت السلامة ، وأدنى ضرر المنطق الشهرة وكفي بها بلية) [2] . فهل مَن هذه الحكمة شعاره ومن ختم ثماني عشرة ألف ختمة - فقد مكث أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة ، وعاصـر مـساجد الكوفـة والغالب عليها قراءة حمزة – هل لمثله أن يقول (قراءة حمزة بدعة) ؟

ثم جاء صاحب الشرح الكبير بما نُسب إلى بشر بن الحارث[3] ت٢٢٧ (قال بشر ابن الحارث يعيد إذا صلى خلف إمام يقرأ بها) .

وسبق أن ذكرت (الإعادة) فيما نسب إلى سفيان بن عيينـة وتـم بيـان أن مساجد الكوفة في الفترة من قبل ١٥٦هـ وفاة حمزة رحمه ا ، وحتى عهد ابـن مجاهد ت٣٢٤هـ كانت على قراءة حمزة صلاة وتلقياً ... وبشر بن الحارث توفي ٢٢٧هـ ، وقد سادت قراءة حمزة قبله وبعده فأنى له أن يجحـدها ؟ والغريـب أن صاحب الشرح الكبير وبعد سطر من ذكره لما ينسب إلى بشر بن الحـارث ، بعـد سطر واحد تحدث عن جواز الصلاة بالقراءة الشاذة ، فقال :(فإن قرأ بقراءة تخرج عن مصحف عثمان كقراءة ابن مسعود : فصيام ثلاثة أيام متتابعات وغيرها كره له ذلك لأن القرآن يثبت بطريق التواتر ولا تواتر فيها ولا يثبت كونها قرآنـاً . وهـل

١ هو الإمام الحافظ المقرئ أبو بكر زكريا القرشي يحيى بن آدم بن سليمان صاحب شعبة وقـد صـاحب شعبة أربعين عام وأخذ منه حروف عاصم حرفاً حرفا ، معرفـة القـراء الكبـار ج١ ص١٦٧ – ١٦٨ ، وجمال القراء ج٢ ص٤٦٦.

٢ معرفة القراء ج١ ص١٣٦ – ١٣٧ .

٣ ثقة وقدوة ت٢٢٧ تغريب التهذيب ص١٢٢ .

تصح صلاته إذا كان ممن صحت به الرواية واتصل إسناداً على روايتين إحداهما لا تصح صلاته لذلك ، والثانية تصح لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصلون بقراءتهم في عصر النبي ﷺ وبعده وكانت صلاتهم صحيحة ، وقد صح أن النبي ﷺ قال :(من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أُنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد) وكان الصحابة رضي الله عنهم يصلون بقراءات لم يثبتها عثمان في المصحف ولا يرى أحد تحريم ذلك ولا بطلان صلاتهم بها) [1] . انتهي كلامه

قلت وقراءة حمزة متواترة وموافقة لرسم المصحف وهي قراءة عبد الله بن مسعود الذي نصح ووجه المصطفى ﷺ أن يُقرأ بقراءته ، واستشهد صاحب الشرح الكبير بنصحه وتوجيهه الكريم ﷺ . فكيف ساغ لصاحب الشرح الكبير أن يطعن فيها بأقوال يشك في نسبتها إلى مصادرها التي نسبت إليها .. أيكون الطعن في المتواتر والجواز في الشاذ ؟

فائدة :

القراءة بالشاذ في الصلاة أحد قولين لمالك وأحمد ، ولأصحاب أبي حنيفة والشافعي والذي عليه أكثر العلماء عدم الجواز لفقدانها شرط الموافقة لرسم المصحف ، قال ابن الجزري :(فهذه القراءة تسمي اليوم شاذة لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه وإن كان إسنادها صحيحاً فلا تجوز القراءة بها لا في الصلاة ولا غيرها) [2] .

---

١ المغنى والشرح الكبير ص ٥٧١ – ٥٧٢ .

٢ منجد المقرئين ص ١٦ – ١٧ .

المطلب الثالث : ما نسب إلى عبد الله بن إدريس الأودي عن قراءة حمزة وأسبابه :-

أما ما نسب إلى عبد ا بن ادريس الأودي [1] ، فقد تكفل بالرد عليه إمام المحققين محمد بن الجزري إذ قال :(وأمّا ما ذكر عن عبد ا بن إدريس وأحمد بن حنبل من كراهة قراءة حمزة فإن ذلك محمول على قراءة من سمعا عنه نقلاً عن حمزة وما آفة الأخبار إلا رواتها ، قال ابن مجاهد ت٣٢٤هـ قال محمد بن الهيثم ت٢٩٢هـ [2] : "والسبب في ذلك أن رجلاً ممن قرأ على سُليم ت١٨٨هـ حضر مجلس ابن إدريس ت١٩٢هـ فقرأ ، فسمع ابن إدريس الفاظاً فيها إفراط في المد والهمز وغير ذلك من التكلف فكره ذلك ابن إدريس وطعن فيه . قال محمد بن الهيثم وقد كان حمزة يكره هذا وينهي عنه ، قلت أما كراهته الإفراط من ذلك فقد روينا عنه من طرقه أنه كان يقول لمن يفرط عليه في المد والهمز لا تفعل أما علمت أن ما كان فوق البياض فهو برص وما كان فوق الجعودة فهو قَطَط وما كان فوق القراءة فليس بقراءة " [3] . انتهي كلام ابن الجزري

قلت يؤكد ما نقله محمد بن الهيثم عدة أدلة :-

أن ابن ادريس أخذ القراءة من الأعمش شيخ حمزة[4] فمورده وحمزة واحد فطعنه ليس في القراءة وإنما في الأداء ، والأداء لا يعيب القراءة فالعيب في المؤدي ونحن اليوم نسمع من يقول (يرفع الآن آذان العصر) فهل للأذان آذان ؟

---

١ أبو محمد عبد ا بن ادريس من مذحج ١١٥ - ١٩٢هـ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ج٦ ص٣٨٩ .

٢ سبقت ترجمتهما .

٣ غاية النهاية ج١ ص٢٦٣ ، والجعودة هي الشعر القصير المفلفل ، والقَطَط الشديد الجعودة .

٤ غاية النهاية ج١ ص٤٠٩ .

ونسمع من يردد الأذان فيقول: (آ   آكبر ، آشهد) مستفهماً من حيث لا يدري ، ولو تعمد كفر .

تميز عصر من نقل عنهم كراهة قراءة حمزة بسبب المؤدين لهـا ، تميـز عصرهم بالكذبة على رسول ا   ، وبالجرأة ، بل وبإرضاء الحاكم وقصصهم كثيرة وقد أورد القرطبي توفي ٦٧١هـ خبر أحد هؤلاء الكذبة الذي وضع حـديثاً عـن الرسول ﷺ بأسانيد صحاح وقام في الناس بعد الصلاة بمسجد الرصافة وقال :(حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى ابن معين قالا أنبأنا معمر عن قتادة عن أنس قال قال رسول ا   ﷺ : "من قال لا إله إلا ا   يخلق من كل كلمة منها طائر منقـاره مـن ذهـب وريشه مرجان" وأخذ في قصة نحوٍ من عشرين ورقة) .

فلما فرغ قال له ابن معين من حدثك بهذا الحديث قال أحمد بن حنبل ويحيى ابن معين قال له ابن معين أنا ابن معين وهذا ابن حنبل ما سمعنا بهذا قط من حديث رسول ا   ﷺ فقال الكاذب أنت يحيى بن معين ؟ قال نعم. قال لـم أزل أسـمع أن يحيى بن معين أحمقٌ وما علمته إلا هذه الساعة قال له يحيى وكيف علمـت أنـي أحمق ؟ قال كأنه ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما ، كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل غير هذا . ثم قال القرطبي (فقام كالمستهزئ بهما)[1].

قلت فمن يجد الجراءة على الكذب على رسول ا   ﷺ - ولا يأبه والعيـاذ با   أن يتبوأ مقعده من النار - حرى به أن يكون جريئاً على ابن حنبل إمام الـسنة وابن معين إمام الجرح والتعديل ، وإنما أوردت ذلك لأبين كثرة الملفقين البـاحثين عن الشهرة الذين ظهروا مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية والحمد   القائل :﴿فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ الرعد ١٧.

---

١ الجامع لأحكام القرآن ج١ ص٥٧ .

ثم ادفع عن الإمام حمزة وقراءته ما جاء عن ابـن قتيبـة[1] ت ٢٧٦ وقـد دُهشت وأنا أقرأ كلامه عن حمزة وقراءته ، واحترت كيف أدفع ما قال من غير أن أزري برجل ألف في غريب القرآن ومشكِلِهِ ، واحترت بين خُلُق يأبي الطعن فـي الآخرين وأمانة علمية تستوجب الرد والبيان ، ثم يسر لي ا آراء كوكبة خيرة من علماء الإسلام في ابن قتيبة ، ممن هم أفضل مني سبقاً وعلماً ومعرفة بابن قتيبـة ، فجعلتهم مجنة بيني وبينه ، أفند قوله واستشهد بقول علمائنا فيه وا أسأل أن يوفقني إلى ما يحبه ويرضاه إنه قريب مجيب .

قال ابن قتيبة متكلماً عن حمزة لا باسمه ولكن بكلمة (رجل) وأجمع الكـل على أنه يعني حمزة بن حبيب الزيات قال :(ثم خاف قوم بعد قوم من أهل الأمصار وأبناء العجم ليس لهم طبع اللغة ولا علم التكلف ، فهفوا في كثيـر مـن الحـروف وزلوا وقرأوا بالشاذ وأخَلوا منهم (رجل) ستر ا عليه عند العوام بالصلاح وقربـه من القلوب بالدين . لم أر فيمن تتبعت وجوه قراءته أكثر تخليطاً ولا أشد اضـطراباً منه ...[2]) .

يلاحظ أن ابن قتيبة لم يتكلم كمن تكلم من قبله عن سوء أداء بعض الجاهلين بقراءة حمزة ، بل وجه هجومه لحمزة ، الذي أجمع الكـل علـى فـضله وعلمـه وصلاحه وتقواه وتحبيره للقرآن ، وقال ابن قتيبة :(وقرأوا بالشاذ وأخلوا) . وقراءة حمزة متواترة بإجماع الأئمة وشهد له سفيان الثوري أنه لم يقرأ حرفـاً إلا بـأثر ، وقال :(رجل ستر ا عليه عند العوام بالصلاح) فمن هم هؤلاء العـوام ؟ ، أمـنهم سفيان الثوري ت ١٦١هـ الذي قال عن حمزة :(ما قرأ هذا حرفـاً إلا بـأثر) ، أم

١ أبو محمد عبد ا بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت٢٧٦هـ من مؤلفاته تأويل مـشكل القـرآن وغريـب القرآن .

٢ تأويل المشكل ص ٥٨ – ٥٩ .

منهم أبو حنيفة ت ١٥٠هـ الذي قال لحمزة :(شيئان غلبتنا عليهم لسنا ننازعك فيهما القرآن والفرائض) ، أم منهم شيخه الأعمش الذي كان حين يراه مقبلاً يقول : (هذا هو حبر القرآن) ، أم منهم يحيى بن معين ت٢٣٣هـ إمام الجرح والتعديل الذي قال: (حمزة ثقة) [1] ، والذي قال :(سمعت محمد بن فضيل يقول ما أحسب أن ا يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة) [2] .

أم منهم علماء الكوفة ، كإمام الكوفة أبي شيبة إبراهيم بن عبد ا بن أبي شيبة ت٢٦٥ الذي روى عنه أحمد بن الحسين بن مهران ت٣٨١ ، بسنده في كتابه المبسوط في القراءات العشر قال :(سمعت أبي وعمي يقولان أحب القراءات إلينا وأثبتها عندنا قراءة حمزة لأنا سمعنا سُليم بن عيسى يقول قرأت على حمزة القرآن في حياة الأعمش وهو أستاذ حمزة وقرأ حمزة على الأعمش في حياة يحيى بن وثاب وهو أستاذ الأعمش وقرأ يحيى على علقمة آية في كل يوم ، وقرأ علقمة على عبد ا وأجلسه عبد ا يقرئ في حياته وقال :(كل ما أقرأه فعلقمة يقرؤه) ، وقال رسول ا ﷺ :(من سره أن يقرأ القرآن غضاً كما نزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد) .

ثم قال صاحب المبسوط في القراءات العشر (وأي قراءة أثبت من هذا) [3].

قلت أما أبو الإمام إبراهيم بن أبي شيبة فهو الإمام عبد ا بن أبي شيبة أحد كبار الحفاظ ومصنف المسند والتفسير والأحكام وغيرها ت٢٣٥هـ ، وأما عمه فهو عثمان بن شيبة من رجال الحديث ت٢٣٩هـ ، فهؤلاء هم من عاصروا ابن قتيبة ومنهم من عاش قبله ومنهم من عاش بعده ، فكيف له أن يقول عن قراءة متواترة

---

١ معرفة القراء الكبار ج١ ص١١٤ .

٢ غاية النهاية ج١ ص٢٦٣ .

٣ المبسوط ص٦٢ .

إنها شاذة ، ويتجاهل شهادات علماء العصر لحمزة ويقول :(ستر ا عليه عند العوام) .

وهؤلاء هم أهل الكوفة يؤكدون قول الثوري ويبينون أن أحب القراءات إليهم قراءة حمزة لتواترها إماماً عن إمام وصولاً إلى عبد ا بن مسعود رضي ا عنه الذي شهد له الرسول ﷺ بقوله "من أراد أن يقرأ القرآن غضاً فليقرأه بقراءة ابن أم عبد" [1] وبين حمزة والرسول ﷺ في سند هذه القراءة الأعمش ويحيى وعلقمة وابن مسعود لا غير ، وابن قتيبة عاصر ابن أبي شيبة وشهد مساجد الكوفة والقراءة الغالبة عليها قراءة حمزة صلاة وحلقات ذكر ، ثم يقول عن قراءة حمزة شاذة ويقول عن حمزة "ستر ا عليه عند العوام" !!

فإن كان ا قد ستر عليه فكيف يهتك ستره بهتاناً ؟ أما كان حرياً بابن قتيبة أن يتبين ويتثبت قبل الخوض في سيرة إمام علم قيم بكتاب ا . ورحم ا ابن الجزري إذ قال عن حمزة :(كان إماماً حجة ثقة ثبتاً رضي قائماً بكتاب ا بصيراً بالفرائض عارفاً بالعربية حافظاً للحديث عابداً خاشعاً ورعاً قانتاً عديم النظير) [2]، وقد بينت أقوال علماء الأمة في حمزة فماذا قال العلماء في ابن قتيبة ؟ .

قال إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد ا الجويني (٤١٩ – ٤٧٨) :(ابن قتيبة هجام ولوج فيما لا يحسنه) ، وقال ابن تغربردي في النجوم الزاهرة ج٣ ص٧٥ :(وكان ابن قتيبة خبيث اللسان يقع في حق كبار العلماء) ،

---

١ الحديث من مقدمة سنن ابن ماجة بلفظ من أحب وكذلك في جمال القراء ج٢ ص٤٣٧ ، وأورده صاحب المبسوط بلفظ من سره .

٢ غاية النهاية ج١ ص٢٦٣ .

وقال الإمام الحاكم أبو عبد ا محمد ابن عبد ا الضبي المعـروف بـابن البيـع ت٤٠٥هـ :(أجمعت الأمة على أن القتيبي كذاب) .

وقال إمام اللغة وصاحب التهذيب ومعانى القراءات الإمـام أبـو منـصور الأزهري ت٣٧٠هـ في مقدمة كتاب التهذيب ص١٣ عن ابن قتيبة (فإنه ربمـا زل فيما لا يخفي على من له أدنى معرفة) ، وقال:(وألفيته يحدث بالظن فيما لا يعرفـه ولا يحسنه ، ورأيت أبا بكر الأنباري ينسبه إلى الغفلة والغباوة وقلة المعرفة وقد رد عليه قريباً من ربع ما ألفه من مشكل القرآن).

ويستمر ابن قتيبة فيقول عن حمزة :(لم أر فيمن تتبعت وجوه قراءتـه أكثر تخليطاً ولا أشد اضطراباً منه لأنه يستعمل في الحروف ما يدعـه فـي نظيره ثم يؤصل أصلاً ويخالف إلى غيره لغير ما علة ...) [1] .

والمتقصى لسيرة ابن قتيبة يجد أنه جالس بعـض علمـاء الحـديث ، والأدباء والشعراء والنحويين واللغويين ، ولكن لم يرد عنه أنه مـن علمـاء القراءات ولا من طلابها ، ولم يؤلف في هذا العلم العزيز بل ألف في علـوم مختلفة يحدثنا عنها الحاكم ت٤٠٥هـ (كان ابن قتيبة يتعـاطى التقـدم فـي العلوم ولم يرضه أهل علم منها وإنما الإمام المقبول عند الكل أبو عبيد)[2].

قلت أبو عبيد هو القاسم بن سلام أول من ألف في غريب الحديث ، وهـو أيضاً أول إمام معتبر يؤلف في علم القراءات ، وهو بحق الإمام في التـأليف فـي علوم الوحيين القرآن والسنة ت٢٤٥ ولعل عبارة الحاكم (ولم يرضه أهل علم منها) فأحد أسبابها عنوان كتاب ابن قتيبة في غريب الحديث ألا وهو (إصلاح الغلط فـي

١ تأويل المشكل ص ٥٩ – ٦٠ .

٢ مقدمة تأويل المشكل ص٥ .

غريب الحديث لأبي عبيد) ، ألم يجد ابن قتيبة في هدي القرآن الكريم وجوامع السنة المشرفة وسعة لغة الضاد عنواناً أفضل لكتابه وهو يستدرك على إمام معتبر كـأبي عبيد الذي حذا ابن قتيبة حذوه ، وورد المنهل بعده وأتم به شاء أو لم يشأ ؟ وكيـف يرضونه وهو هجام ولوج فيما لا يحسنه ؟!

وقال أبو بكر بن دريد ت٣٢٠ وقد سئل عن ابن قتيبة فقـال (ربـوة بـين جبلين) قال الإمام الجرجاني (يريد أن ذكره قد خمل بنباهة ثعلب والمبرد)[1] فمن أين تتبع ابن قتيبة وجوه قراءة حمزة وليس له باع في علم القراءات وهو علم لا يتـأتي الا بالتلقي ؟.

أما قول ابن قتيبة (يستعمل في الحروف ما يدعه في نظيـره) فهـو قـول مردود على صاحبه لأن علمه لم يجد عليه بمثال واحد يؤكد به قوله ، وإن كان في قوله شئ من الصواب، فقراءة حمزة هي قراءة العرب الذين يحققون الهمز وصـلاً ويسهلونه بشتى الطرق وقفاً وتسهيل الهمز يحتاج إلى رياضة ذهنية ولفظية ومعرفة بلغة العرب وأسرارها ومثال ذلك ثلاث كلمات مهموزة همزاتها متوسـطة وحكـم الوقف عليها مختلف ولا يعرف ذلك إلا المتلقى من أفواه العلماء العارفين : (آباؤكم) حكمها التسهيل مع المد لأن الهمزة متحركة وقبلها ألف ، و(خطيئة) حكمها إبـدال الهمزة ياءً ثم إدغام الياء في الياء لأن الياء زائدة على بنية الكلمة ، و(شيئاً) يجـوز فيها نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ثم حذف الهمزة (شَياً) أو إبدال الهمزة يـاء وإدغام الياء في الياء (شيّاً) لأنها حرف لين .

---

١ مقدمة تأويل المشكل ص٥٣ والجرجاني هو إمام اللغة والنحو عبد القاهر الجرجاني صـاحب إعجـاز القرآن ت٤٧١هـ والإمام ثعلب هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني إمام اللغة ثقة كبيـر لـه كثير في القراءات وكتاب الفصيح ت٢٩١ ، غاية النهاية ج١ ص١٤٨ ، والمبرد هو أبو العباس محمد ابن يزيد بن عبد الأكبر القارئ النحوي ت٢٨٦ .

ذلك تفسير قول ابن قتيبة (يستعمل في الحروف ما يدعه في نظيره) فهـذه الهمزات نظائر لكونها متوسطة ، ولكن لكل كلمة منها وقف مختلف ، وأعود إلـى قول إمام الحرمين أبي المعالي عن ابن قتيبة (هجام ولوج فيما لا يحسنه) ، واذكـر قول أبي الطيب الحلبي ت٣٥١[1] في كتابه مراتب النحويين ص١٣٧ عن ابن قتيبـة (وكان يشرع في أشياء لا يقوم بها نحو تعرضه لتأليف كتابه في النحو ، وكتابه في تفسير الرؤيا ، وكتابه في معجزات النبي ﷺ وعلى آله ، وعيون الأخبار والمعارف والشعراء ونحو ذلك مما أزري به عند العلماء وإن كان نفق بها عند العامة ومن لا بصيرة له) .

قلت سبحان ا ، رد الحلبي على ابن قتيبة بما وصف به حمزة ، وحمـزة برئ من نعته قال الحلبي عن ابن قتيبة (وإن كان نفق بها عنـد العامـة ومـن لا بصيرة له) وقال ابن قتيبة عن حمزة (وقد شغف بقراءته عوام الناس وسوقهم) وقد تبين بطلان قوله عن حمزة . ويتابع ابن قتيبة هجومه على الإمام حمزة فيقول (ومن العجب أنه يُقرئ الناس بهذه المذاهب ويكره الصلاة بها ؟ ففي أي موضع تـستعمل هذه القراءة إن كانت الصلاة لا تجوز بها؟).

وهذه مقولة من لا يعرف كلام العرب ، ولا مذاهب القراء فابن قتيبـة لـم يكتف بالطعن في قراءة متواترة ، بل يطعن طعناً يعود على طاعنه ، ويوصمه بما قاله عنه أئمة أجلاء من أنه (هجام ولوج فيما لا يحسنه) وأنه (يقع في حق كبـار العلماء) .

قال ابن قتيبة عن حمزة (يقرئ الناس بهذه المذاهب ويكره الصلاة بها) ، ثم يقول (ففي أي موضع تستعمل هذه القراءة إن كانت الصلاة لا تجوز بها) فانتقل بعد سطر واحد من (يكره) إلى (لا تجوز) .

---

١ المرجع السابق ص ٤٨ – ٤٩ .

والمعروف أن حمزة يخفف الهمز إذا وقف على الكلمة المهموزة ، أما إذا وصل فيحقق الهمز . وهذه إحدى لغات العرب بل لغة فصحائهم قال ابن الجزري (وقال بعضهم : لغة أكثر العرب الذين هم أهل الجزالة والفصاحة ترك الهمزة الساكنة في الدرج والمتحركة عند السكت..) [1] ، ثم قال ابن الجزري (وتخفيف الهمز في الوقف مشهور عند علماء العربية أفردوا له باباً وأحكاماً).

قلت وفوق ذلك فقراءة تحقيق الهمز عند الوقف مذهب أهل الشام من رواية هشام عن ابن عامر الشامي عند الهمز المتطرف وهو أيضاً مذهب قراء الكوفة ، قال ابن الجزري (وقد وافق حمزة على تسهيل الهمز وقفاً حمران بن أعين وطلحة بن مصرف ، وجعفر بن محمد الصادق وسليمان بن مهران الأعمش) [2] .

وَتَرْكُ حمزة للهمز في الصلاة سببه أنه إذا وصل فلا يحتاج إلى تسهيل الهمز وتليينه فهو القارئ البارع المحقق ومثال ذلك أنه إذا قرأ قوله تعالى ﴿إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهدي﴾ (٢٣) سورة النجم . فلا حاجة له أن يقف على (أسماء) ولا على (آباؤكم) وهو يصلي بالناس فاكتمال المعنى والتدبر يكون عند لفظة (سلطان)ولكن إذا كان في مجلس ذكر وتعليم فلابد من أن يستوقف المتعلم المتلقى منه عند الكلمتين المهموزتين لاختلافهما في الحكم وقفاً.

وقد سئل الإمام الكسائى عن الهمز والإدغام ألكم فيه إمام ؟ ، قال (نعم هذا حمزة يدغم ويكسر وهو إمام من أئمة المسلمين وسيد القراء والزهاد لو رأيته لقرت

---

١ النشر ج١ ص٤٢٩ .

٢ حمران بن أعين ت في حدود ١٣٠ ، وطلحة بن مصرف هو سيد القراء ت١١٢، والإمام جعفر الصادق هو جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي ا عنهم ت١٤٨ ، وسليمان بن مهران ت١٤٨ وجميعهم شيوخ حمزة ، انظر النشر ج١ ص٤٣٠.

عينك من نسكه) قال الذهبي يريد بقوله يكسر أي يميل [1] ، وكـان المحـدث الثقـة العابد أبو صالح شعيب بن حرب ت١٩٧هـ يقول لأصحاب الحديث (ألا تـسألوني عن الدر ؟ قراءة حمزة) [2] .

وعليه فعبارة ابن قتيبة عن حمزة (يقرئ الناس بهذه المذاهب ويكره الصلاة بها) فهي بهتان وجهل بالقراءة ، فحمزة لم يترك الهمز فـي الـصلاة فـي جميـع المواضع وإنما يتركه كما بينت عند المواضع التي لا يجب الوقف عنـدها أمـا إذا اكتمل المعنى بكلمة مهموزة فيقف عليها مسهلة ، فحرى به أن يقف على (يؤمنون) بالإبدال (يومنون) وذلك من قوله تعالى ﴿ام لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ البقرة ٦ ، لأنها رأس آية اكتمل بها المعنى وحرى به ألا يقف على (أضاءت) من قوله تعالى ﴿فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم﴾ البقرة ١٧ . لأن المعنى لم يكتمل ، كما تقتـضي أمانة التبليغ أن يوقف القارئ المتكلم عند الكلمتين المهموزتين ليتحقق من معرفتـه لحكم الهمز وقفاً من حيث القاعدة والأداء فهذان أصلان ينبغي للإمام المعلم بيانهمـا وهو يعلم الناس ، أما في الصلاة فيكون الوقف حيث اكتمال المعنى ... وا   أعلم .

لطيفة :

عرف حمزة بالتحقيق عند ترتيله للقرآن ، والتحقيق هو بلوغ حقيقة الشئ ، وعند أئمة التجويد ، هو إعطاء الحروف حقها من إشباع المد وتحقيق الهمز وإتمام الحركات ، وتوفية الغنات ، وبيان الحروف والقـراءة بتـؤدة واطمئنـان[3] . أورد الذهبي أن رجلاً جاء إلى سُليم بن عيسى أحد تلاميذ حمزة فقال له (جئـت لأقـرأ

---

١ معرفة القراء ج١ ص١١٦ .

٢ معرفة القراء ج١ ص١١٧ .

٣ وتلى مرتبة التحقيق مرتبة التدوير فهي مرتبة وسطى بين التحقيق والحدر ، أمـا الحـدر فهـو إدراج القراءة وسرعتها مع تحقيق أحكام التجويد .

عليك بالتحقيق) فقال له سليم (يا ابن أخي شهدت حمزة وقد أتاه رجل في مثل هـذا فبكى وقال يا ابن أخي إنما التحقيق صون القرآن فان صنته فقد حققتـه فهـذا هـو التحقيق..) [1] قلت أمثل هذا يقدح بما ليس فيه وتعاب قراءته المتواترة من عند العليم الحكيم ؟! أما سمع ابن قتيبة عن صلاة حمزة ؟ كان يقرئ القرآن حتى يتفرق الناس ثم ينهض فيصلي أربع ركعات ثم يصلي ما بين الظهر والعصر وما بين المغـرب والعشاء.وكان لا ينام الليل يرتل القرآن، ويختم في الشهر خمساً وعشرين ختمة [2].

ويستمر ابن قتيبة في هجومه على حمزة قائلاً (فاذا رأوه قد اختلف فـي أم الكتاب عشراً ، وفي مائة آية شهراً ، وفي السبع الطول حولاً) [3] يعني ان المـتعلم عند حمزة يحتاج لكي يتعلم الخلاف الواجب في الفاتحة لعشرة أيام ، ويحتاج ليتعلم مائة آية شهراً ، وليتعلم الطول عاماً ، قلت : لحمزة في الفاتحة من الخلاف الواجب ما يلي : قرأ (ملك يوم الدين) بترك المد و(الصراط) بإشمام الصاد صوت الزأي في الموضع الأول فقط لخلاد وفي جميع القرآن لخاف وقرأ(عليهم) بضم الهـاء حيـث وردت .

فخلافه في الفاتحة فقط في ثلاث كلمات (ملك ، الصراط ، عليهم) ولـيس في الفاتحة كلمة همزتها متوسطة أو متطرفة حتى يتغير حكم الوقف عليها لحمـزة عن باقى القراء ، فهل يحتاج تعلم ثلاث كلمات إلى عشرة أيام ؟! وقس على ذلـك بقية عبارات ابن قتيبة الذي قيل عنه : (هجام ولوج في ما لا يحسنه) ، ويستمر ابن قتيبة في الهجوم على حمزة فيصفه وهو يقرأ فيقول (ورأوه عنـد قراءتـه مائـل الشدقين دار الوردين راشح الجبينين توهموا أن ذلك لفضيلة في القراءة وحذق بها)[4]

---

١ معرفة القراء ج١ ص١٣٩ .

٢ غاية النهاية ج١ ص٢٦٣ . معرفة القراء ج١ ص١١٥ بتصرف .

٣ انظر تأويل المشكل ص٢ ، ومعرفة القراء ج١ ص١١٨ .

٤ تأويل المشكل ص٦٠ .

قلت ولد ابن قتيبة عام ٢١٣هـ ، وتوفي حبر القرآن حمزة عام ١٥٦هـ ، فبين وفاة حمزة وولادة ابن قتيبة سبعة وخمسون عاماً فمن أين له هذا الوصف العجيب؟ وإن افترضنا أنه قد صلى خلفه – ولا مجال لهذا الافتراض – فاين يجب ان يكون بصر ابن قتيبة أحيث مكان سجوده ، خاشعاً متدبراً لكلام ا ، أم يشخص ببصره مدققاً في شدق الإمام ووريده وجبينه ؟!

لطيفة :

أورد الذهبي أن حمزة قرأ على ابن أبي ليلى القرآن أربع ختمات ، وأورد قول حمزة:(إنما تعودت جودة القراءة على ابن أبي ليلى) وذكر الذهبي أن حمزة (قرأ على ابن أبي ليلى فأخطأ فلم يأخذ عليه ، فقال حمزة مالك لم تأخذ علي قال خفت ا أن تكون أنت المصيب وأنا المخطئ)[1] . فمن هو ابن أبي ليلى ؟ عنه ينقل لنا ابن الجزري في غاية النهاية: (أحد الأعلام .. قرأ على عشرة شيوخ ... ماولي القضاء أحد أفقه في دين ا ولا أقرأ لكتاب ا ، ولا أقول حقاً با ولا أعف عن الأموال من ابن أبي ليلى) [2].

هكذا كان حمزة بن حبيب ، خاشعاً مخبتاً منكسر النفس ، عظيم القدر عند أشياخه وعلماء عصره ومن أتى بعدهم ، مبجلاً ومحبوباً عند علماء الأمة وعامتهم منشغلاً عنهم بالوحيين وختم القرآن وتعليمه ، والصلاة وكثرة السجود ، فلماذا جاء ابن قتيبة بعد أكثر من نصف قرن من وفاة حمزة ليوجه كل هذا الهجوم القاسي العاري من الحقيقة على حبر القرآن حمزة ؟ وقبل تلمس الأسباب أقارن بين الشخصيتين :

---

١ معرفة القراء ج١ ص ١١٣ - ١١٤.

٢ غاية النهاية ج٢ ص١٦٥ بتصرف .

كان حمزة سنياً صدوقاً قال عنه ابن سعد في الطبقات الكبرى (كان حمـزة رجلاً صالحاً وكانت عنده أحاديث وكان صدوقاً وصاحب سنة) [1]. وقد سبق قـول إمام الجرح والتعديل يحيى بن معين (حمزة ثقة) وحديث حمزة مخرج في صـحيح مسلم وفي السنن الأربعة [2] .

أما ابن قتيبة فقد وصف بأنه كرامياً [3] يميل إلى التشبه والتجسيد، ووصـف بالكذب ، فالشخصيتين على طرفي نقيض وشتان ما بين سني صـدوق ، وكرامـي كذوب . قال الدارقطني أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي ت ٣٨٥ (كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه منحرفاً عن العترة وكلامه يدل عليه) [4] ، وقال البيهقـي أبو بكر أحمد بن الحسين ت٤٨٥ (كان ابن قتيبة يرى رأي الكراميـة) [5] ، وقـال الحاكم ت٤٠٥ (أجمعت الأمة على أن القتيبي كـذاب) [6] ، وقـال أبـو منـصور الأزهري ت٣٧٠ عن ابن قتيبة (وألفيته يحدث بالظن فيما لا يعرفـه ولا يحـسنه ، ورأيت أبا بكر بن الأنباري ينسبه إلى الغفلة والغباوة وقلة المعرفة ، وقد رد عليـه قريباً من ربع ما ألفه من مشكل القرآن) [7] ، وابن الأنباري (٢٧١-٣٢٨) هو أستاذ الدارقطني ت٣٨٥ ، والدارقطني هو أستاذ الحاكم ت٤٠٥ ، والحاكم أستاذ البيهقـي ت٤٥٨ ، وهم من فقهاء الأمة وعلماء الحديث وقد شهدوا بانحراف مذهب ابن قتيبة على مدى أكثر من قرن ونصف من الزمان .

أوقف حمزة عمره للقرآن والحديث والعبادة وكان متقناً منقطع النظير فـي علمه وورعه وتقواه .. وكان يعلم القرآن ولا يأخذ عليه أجراً يختم خمساً وعشرين

---

١ الطبقات الكبرى المجلد السادس ص٣٨٥ .

٢ معرفة القراء الكبار ج١ ص١١٧ .

٣ الكرامية هم جماعة محمد بن كرام قالوا بالتشبه والتجسيم ، وكانوا منحرفين عن أهل البيـت . تأويـل المشكل ص ٥١ ، ٥١ ، ٥٠ ، ٤٦ على التوالي .

٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ تأويل المشكل ص ٥١ ، ٥١ ، ٥٠ ، ٤٦ على التوالي .

ختمة في الشهر ويُقرئ القرآن حتى يتفرق الناس ثم يصلى ما بين الظهر والعصر[1]، وما بين المغرب والعشاء، وينفق من كسب يده ، فقد كان يجلب الزيت من حلـوان بالعراق إلى الكوفة ، ولا يأخذ أجراً على القرآن ولم يتعرض له أحد ، ولم يتعرض لأحد ، ففي معرفة القراء للذهبي (حمزة الذي صار عُظمُ أهل الكوفة على قراءتـه من غير ان تنطبق عليه جماعتهم) أما ابن قتيبة فقد رأينا رأي العلماء فيه ، ورغـم ذلك فقل من سلم من قلمه ، فقد هاجم أبا حنيفة وأصحاب الرأي والقياس في كتابـه تأويل مختلف الحديث [2] وهاجم أستاذه الجاحظ وقال عنه (إنه أكذب الأمة وأوضعهم لحديث وأنصرهم لباطل) [3] ، ولا تخفي العداوة بينه وبين ابن الأنباري الذي كان من نحاة الكوفة وابن قتيبة من نحاة البصرة ، وهاجم ابن قتيبة صـحابة رسـول ا ﷺ قائلاً : (إن أبا بكر وعمر وعلياً توفوا ولم يجمعوا القرآن وإن علياً دخل حفرته وما حفظ القرآن..) [4] .

وقد نسب هذه الرواية إلى الشعبي ، ولم يوثق روايته بسند متصل وما مـن أحد يجزم بمثل هذا الجزم ، وإن منزلة الراشدين الثلاثة لتقف حائلاً بين كل مـسلم ورع وتحول بينه وبين أن يخوض في سيرتهم ناهيك أن يقفوَ ماليس له به علم !!

وقد سبق بيان اختياره (إصلاح الغلط في غريب الحديث لأبي عبيد) عنواناً لكتابه ، وأبو عبيد يعد السابق المعلم ..

وشتان بين رجل عرف بانصرافه للعبادة وتقوى ا ، ورجل لم يسلم مـن لسانه إلا من شاء ا ، وقل أن تجد إجماعاً على بيان عثراته كما أجمـع عليـه .

---

١ معرفة القراء الكبار ج١ ص١١٥.

٢ تأويل المشكل ص٦٣ .

٣ المرجع السابق ص٦٥ .

٤ تأويل المشكل ص (٦١ – ٦٢) .

ومضمار حمزة القرآن والسنة والنسك إلى الله ، وميدان ابن قتيبة النحـو والـشعر والأدب ، وكتاباته في القرآن والحديث لم تخرج من هذا المجال ، وقد قلد من سبقوه ولم يصل إلى مراتبهم ، فهو لم يكن من رجال الحديث ولا من المتلقين أو المعلمين للقرآن .. وشتان بين السبيلين.

وقد حرصت على بيان مقومات شخصية كل من حمـزة وابـن قتيبـة ، ليظهر جلياً الإلتقاء بينهما فهما على النقيض التام ، بل لم يعاصر أحـدهما الآخـر فبين وفاة حمزة وولادة ابن قتيبة أكثر من نصف قرن من الزمان .

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه حينئذ ، فلم الهجوم على حمزة ؟

ولعل الإجابة على هذا السؤال تكمن في عاملين ، العامل الأول يعود إلـى العصر العباسي الذي عاش فيه ابن قتيبة ، فابن قتيبة (٢١٣ – ٢٧٦) عاصر الدولة العباسية فقد ولد في عصر الخليفة المعتصم الذي تولى الخلافة عـام ٢١٨هـ ـ ولا يخفي استحواذ خلفاء بني العباس بالخلافة دون العلويين ، الذين بدأوا القتـال ضـد الدولة الأموية منذ عهد الحسين ابن على رضي الله عنهما ، ثم انتهي الأمر إلى بني العباس ، وقد ذخرت كتب التاريخ بالخلاف بين العباسيين والعلويين مما لا مجـال لبيانه هنا ، ولكني أكتفي بذكر حدثين معاصرين لابن قتيبة : الأول في عهد الخليفة المتوكل ، الذي يعتبر عهده بداية انحلال الدولة العباسية وسقوطها في يـد التتـار ٦٥٦هـ ، يقول د. حسن إبراهيم حسن في تاريخ الإسلام نقلاً عن الطبري (لكـن المتوكل أساء إلى نفسه بسياسة العنف التي انتهجها في معاملة العلويين فأمر في سنة ٢٣٦هـ بهدم قبر الحسين بن على وما حوله من الدور...) إلى أن يقول (وقد أثار

المتوكل بهذه السياسة حفيظة المسلمين وخاصة أهل بغداد الذين ردوا على الإهانات التي ألحقها بالعلويين بسببه في المساجد والطرقات) [1] .

والحدث الثاني كان في عهد الخليفة العباسي المهتدي ابن الخليفة الواثق الذي ولى الخلافة بعد مقتل أخيه المعتز سنة ٢٥٥هـ حيث تجاوز ابن قتيبة سن الأربعين فقد ثار العلويون على العباسيين في كثير من البقاع الإسلامية ، ويؤرخ لذلك د.حسن إبراهيم فيقول (كما أزكى العلويين نار الثورة في كثير من البلاد الإسلامية) [2] .

فهل كان هجوم ابن قتيبة على حمزة الذي تنتهي قراءته إلى جعفر بن محمد الصادق وإلى على بن أبي طالب إرضاء لحكام بغداد الذين اتقدت العداوة بينهم وبين العلويين ؟ وإلا فما معنى قول ابن قتيبة (أن أبا بكر وعمر وعلياً توفوا ولم يجمعوا القرآن ، وإن علياً دخل حفرته وما حفظ القرآن) [3] .

فالعباسيون لم يكونوا في قائمة المرشحين للخلافة ، وما رشح المسلمون أحداً للخلافة من بني هاشم إلا علياً وأولاده ، وكانت العلاقة بين بني هاشم ، علويين، وعباسيين علاقة جيدة قائمة على الحب والتواصل ، واستمرت الدعوة للعلوين وقويت بعد استشهاد الحسين ابن على رضي ا عنهما ، وقامت الثورات ضد بني أمية على يد العلويين ، حتى أن العباسيين في أول دعوتهم رفعوا شعار (الدعوة لآل البيت) وما أظهروا أمرهم وتفردهم بالحكم إلا بعد أن قويت شوكتهم .

فكان حرياً بهذا الانفراد بالسلطة من قبل العباسيين ان يثير حفيظة العلويين، ويزكى نار البغضاء بين الفريقين ويحيل المحبة إلى عداوة ، وصراع

---

١ تاريخ الإسلام ج٣ ص٥ .

٢ المرجع السابق ص١٠ .

٣ تأويل المشكل ص٦٢ .

على الحكم .. ففي هذه الأجواء عاش ابن قتيبة ، ولعله – وا أعلم – أراد إرضاء العباسيين بهجومه على كل ما يَمُت لعلي رضي ا عنه بصلة ، وإلا فلماذا خص علياً بعدم حفظ القرآن بعد أن ذكر ذلك عنه وعن أبي بكر وعمر رضي ا عنهم فعبارته (أن أبا بكر وعمر وعلياً توفوا ولم يجمعوا القرآن) ثم قال (وإن علياً دخل حفرته ولم يحفظ القرآن) ويقوي من هذا الافتراض ما بينته من أنه لا جامع يجمع بين حمزة وابن قتيبة ، لا في صفوف العلم ، ولا في السيرة الشخصية ، ولا في الزمان والمعاصرة .

كذلك فإن ابن قتيبة عاصر مساجد الكوفة والغالب عليها قراءة حمزة ، صلاة ودرساً، فغض النظر عن ذلك وعن سيرة حمزة العطرة وورعه وتقواه وهاجمه بما ليس فيه، ولا أجد سبباً لذلك الهجوم القاسي العاري من أدنى وشائج الحقيقة ألا أن أصل قراءة حمزة تعود لعلي ابن أبي طالب رضي ا عنه الذي قال عنه ابن قتيبة بل وكرر قوله في أقل من سطرين من أن علياً مات ولم يحفظ القرآن ؟!

كما أنه يبدو جلياً أن شخصية ابن قتيبة تجنح للهجوم والنقد الغير موضوعي والتجنى على العلماء .. وإن كان قد ترك بصماته في مجال النقد والأدب فقد تعداهما إلى ما لا يحسنه ، والغالب من المعاصرين له ومن أتى بعدهم على عدم الرضاء عن نهجه العلمي، والهجومي، وإن وجد من أثنى عليه ونفي عنه بعض الصفات التي أُلحقت به .. وتبقى الحقيقة المحضة عند علام الغيوب ، وا أعلم .

المطلب الأول : أثر القرآن الكريم في تطور اللغة العربية ونموها :-

لقد ألقى ا محبة اللغة العربية في قلوب العرب في الجاهلية ، وجعلها الشغل الشاغل لعقولهم المتوقدة ، وأحلامهم الثاقبة ، وجعل لها منتهي الشرف السامق والسمو الباسق في نفوسهم حتى أنهم ليفرحون بمولد شاعر أو خطيب في القبيلة أكثر من فرحهم بهطول الغيث ، ونمو الكلأ وانبجاس الماء وتدفقه .

وقد بلغ بهم حبهم واستهتارهم [1] بالشعر أن محصوا جيده من رديئه واحتفظوا ببليغه، ورائعه . وكانت القصيدة العصماء تحظى بالذيع والانتشار يحدوا بها الحداة ، ويتلقاها الرواة ، ويتردد صداها في الشعاب والفجاج والأودية والخيام وتنتشر في سرعة مذهلة رغم بعد المسافات ووعورة الشعاب والجبال وعجز وسائل الترحال .. بل بلغ بهم الولع والوله أن كتبوا روائع قصائدهم بماء الذهب وعلقوها على أستار الكعبة المشرفة ..

ثم بعد أن قيض ا لهم هذه المعرفة التامة بلغتهم ودرايتها ، وأوقر نفوسهم بمحبتها، أنزل ا بها كلامه وتحداهم أن يأتوا بآية واحدة كأي قرآنه العظيم ، فبهتوا وعجزوا جميعاً كافرهم با قبل مؤمنهم به .. رغم أن حروف القرآن هي نفسها حروف اللغة التي ملكوا زمام أمرها ، وأجادوا السباحة في أعماق بحرها .

وجاء الإسلام فزادت العربية سمواً ورفعةً واقتداراً بنزول القرآن بها ، فقد أضفي عليها كلام ا من الشرف والسعَة والتمكين ما أخرست به وقطعت سائر الألسنة .. ووقفت أمام محاولات أعداء الإسلام الساعية لمحوها وطمسها . فعَبْر أكثر من ألف وأربعمائة عام، باء تآمر المتآمرين الشرس الماكر بالفشل الذريع ،

---

١ الاستهتار : الولوع بالشئ والإفراط فيه ، وفي الحديث الشريف (سبق المُفردون قالوا من المفردون قال الذين أُهتروا في ذكر ا) وفي حديث آخر (الذين استهتروا بذكر ا) أي أولعوا به .. انظر اللسان بـ ـاب هتر.

وازدادت العربية تمكيناً وروعة وانتصاراً، وذلك لأنها لغة القرآن العظيم ، فلا سبيل لوأدها إلا بوأد القرآن الرائع البيان المحروس بقدرة ا من كل زيادة ونقصان .

وكان لابد أن تنمو اللغة العربية ويقوى عودها ، ويخرج شطؤها في ربى الإسلام المعطاء المثمر ، وذلك لاحتفاء الوحيين بالعقل الإنسانى فكان أول ما نزل على رسولنا المبين ﷺ ﴿ إقرأ باسم ربك الذي خلق (١) خلق الإنسان من علق (٢) اقرأ وربك الأكرم (٣) الذي علَّم بالقلم (٤) علم الإنسان ما لم يعلم (٥) ﴾ **العلق١-٥ .**

ومن هدي المصطفى ﷺ (ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل ا له طريقاً إلى الجنة)[1] وقد انتقل القرآن بالعرب من ظلمات الجهل إلى رحاب النور ، وخاطب عقولهم موجهاً لها ومرتقياً بها من الآيات الحسية التي كانت منتهي علمهم وغاية مقاصدهم ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً (٩٠) أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً . . ﴾ **الإسراء (٩٠ – ٩١)** ، ﴿ أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها . . ﴾ [2] الفرقان(٨) ، إلى الآيات الكونية التي تحيط بهم وتدعوهم إلى التدبر والتفكر في خلق ا ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيَّناها وما لها من فروج (٦) والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج (٧) تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . . ﴾ ق(٦ – ٨)

وقد اقتضت حكمة العليم الخبير أن يُخْرِج العربَ من مستنقع الكفر والشرك إلى ذرى الإيمان والتوحيد ، وإن ينتشلهم من إرث وسلوك الجاهلية الظلوم ، إلى

---

١ صحيح مسلم باب الذكر ، ومثله عن البخاري في باب العلم ، وكذلك عند أبي داود في العلم وعند الترمذي في العلم .

٢ قراءة حمزة والكسائي وخلف بالنون نأكل منها والجمهور بالياء يأكل منها .

هدي وأدب الإسلام السمح . وكان لابد للعقل البشري ان يكون سبباً من أسباب هذه الهداية فكثر الحض على التدبر في فواصل أي الذكر الحكيم :- (أفلا تعقلون – يتفكرون – تبصرون - يا أولى الألباب) .

ورفع القرآن من مكانة العلماء ﴿ إنما تخش الله من عباده العلماءُ ﴾ فاطر٢٨ ، ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ الزمر٩ ، ﴿ إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ الروم٢٢ .

بل أكد القرآن أن الإعراض عن الوحي وعدم إعمال العقل يزجان بصاحبهما إلى النار (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وكان لابد للغة العربية أن تحظى بنصيبها من التطور الذي شمل جميع مناحي الحياة البشرية، فهي لغة القرآن الكريم، وهي السبيل إلى بيان أوامره ونواهيه ، وهي الطريق إلى بيان إعجازه اللغوي والعلمى وهي المحجة التي يعرف بها الحلال والحرام والمتشابه ، وهي المهيع الواسع الذي يسع جميع العلوم والمعارف الإنسانية لذلك شملها التطور والرقى .. وما كان لها إلا أن تتطور حتى تسع كلام ا الذي لا تنقضي عجائبه ولا تحصى آياته ولا يمكن حصر مقاصده وتوجيهاته ..

وقد تبين أن العرب أتقنوا لغتهم وبرعوا فيها ، ولكنهم كانوا يسكنون بقاعاً متنائية وأودية وفجاجاً يعسر التواصل بينها إلا بشق الأنفس ، فأصبح لكل قبيلة لغتها التي تتحدث بها، وما كانت لغة القبيلة ببعيدة من اللغة الأم ولكنها كانت تحتفظ بملامحها الخاصة في اللفظ ، وتنفرد بألفاظ لا يعلم مدلولها غير أبنائها .. وأسوق الأمثلة التي تدل على ذلك فقبيلة ربيعة تجعل كاف الخطاب للأنثى شيناً ، فتقول بدلاً من (يدِك - يَدِش) [1] ، وطي تبدل الياء المشددة جيماً (نجدي ، نجدج) [1] ، وحمير

---

[1] وهي كشكشة تميم .

تجعل السين تاءً (الأمس – الأمت) [٢] ، وتميم تجعل الهمزة في أول الكلام عيناً فيقولون (أكبر – عكبر) [٣] ، وهوازن تبدل كاف المخاطبة للمذكر سيناً (أبوك – أبوس) [٤] .

وأما انفراد بعض القبائل بألفاظ تجهل بقية القبائل معانيها ، فقد بدا جلياً حين نزل القرآن الكريم ببعض الألفاظ ، فهاهو عبد ا بن عباس حبر القرآن وترجمانه الذي سأله متحديه في مجلس واحد عن مئات الكلمات التي نزل بها القرآن الكريم وهل توجد في لغة وكلام العرب فأجاب عن كل كلمة قرآنية سئل عنها ببيت من الشعر وردت فيه ، وعن ذلك روى السيوطي في الإتقان بسنده :(بينما عبد ا بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن ، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر : قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما إليه فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب ا فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب ، فإن ا تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فقال ابن عباس سلانى عما بدا لكما ، فقال نافع أخبرنى عن قول ا تعالى (عن اليمين وعن الشمال عزين) قال : العزون : حَلَقْ الرجال . قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم ، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا ......[٥]

وقد أحصيتُ مسائل نافع بن الأزرق كما في الإتقان فوجدتها مائة وتسعين مسألة ومسألة ، ثم قال السيوطي : (وقد حذفت منها يسيراً بضعة عشر سؤالاً) ،

---

١ وهي عجعجة طي .

٢ وهي وتْم حمير .

٣ وهي عنعنة تميم .

٤ وهي كسكسة هوازن ، للمزيد انظر المزهر للسيوطي ج١ ص (٢٢١ – ٢٢٦).

٥ الإتقان للسيوطى ج١ ص (١٥٨ – ١٧٥) ، ونافع بن الأزرق أحد زعماء الخوارج.

فهاهو عبد ا ابن عباس رضي ا عنهما والذي أجاب على مئات الكلمات القرآنية شارحاً معانيها ، مستشهداً بنظائرها من ديوان العرب ، هاهو يقول :(كل القرآن أعلمه إلا أربعاً : غسلين ، وحناناً ، وأواه ، والرقيم) وهو القائل :(كنت لا أدرى ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني إعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها ، يقول أنا ابتدأتها) [1] .

وهاهو أبو بكر الصديق رضي ا عنه وقد سئل عن قول ا تعالى ﴿وفاكهة وأبًا﴾ يقول (أي سماء تظلنى وأي أرض تقلني إنْ أنا قلت في كتاب ا ما لا أعلم) [2]. وتلا عمر ابن الخطاب رضي ا عنه قوله تعالى ﴿أو يأخذهم على تخوفٍ﴾ النحل٤٧ ، وكان على المنبر فقال ما تقولون فيها ؟ فسكتوا فقام شيخ من هُذيل فقال:

هذه لغتنا : التخوف التنَقص . فقال : فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا :

تَخوف الرحَلُ منها تَامِكاً قَرِداً   كما تخوف عُودَ النَبْعةِ السفَنُ[3]

---

١ الإتقان للسيوطي ج١ ص١٥٠ ، والغسلين صديد أهل النار وردت في الآية ٣٦ الحاقة ، وحناناً : رحمة وعطف على الناس وردت في الآية ١٣ مريم ، وأواه: كثير التأوه من خشية ا وردت في الآية ٧٥ هود، والرقيم : اللوح الذي فيه أسماء أهل الكهف ووصفهم ، وقد وردت في الآية ٩ من الكهف.

٢ المرجع السابق والأب : كل كلأ وعشب وهو التبن خاصة .

٣ الكشاف للزمشخرى ج٢ ص (٦٠٨ – ٦٠٩) ، . والتخوف التنقص تدريجياً شئياً فشيئاً ، التامك : السنام المرتفع ، والقَرَد : الذي أكله القراد من طول السفر أو كثرته أو الذي أفسده الرحل مع كثـرة الأسـفار ، والنبعة : شجرة تتخذ منها القِسِي. والسفن : مبرد الحديد الذي ينحت به الخشب ، والمعنى أن سنام الناقـة المرتفع قد تنقص من أثر الرحل عليه ومن كثرة السفر كما تنقص مبرد الحديد عود النبعة ، والبيت ينسب لأبي كبير الهذلي وقيل لزهير .

ومما سبقته استخلص ما يلي :-

١- إن القرآن الكريم وفهم معانيه كان حافزاً قوياً دفع بالمسلمين إلى معرفة ما جهلوا من لغتهم سعياً نحو تدبر عميق وحرصاً على معرفة حقةٍ لكلام ا .

٢- إن لكل قبيلة لغتها وألفاظها التي لا يعلم مدلولها ومعانيها غيرهم من القبائل مع انتمائها للغة الأم ، فاللغة العربية كالجنة التي حوت زروعاً مختلفة الثمار واللون والطعم . ولذلك كان نزول القرآن على سبعة أحرف، تسهيلاً للأمة وحتى تقرأ كل قبيلة بما يستطيعه لسانها ثم كتب القرآن على الختمة الأخيرة والتي عرض فيها جبريل عليه السلام على الرسول ﷺ القرآن مرتين وقام الصحابة الأجلاء الذين أوكلت لهم مهمة نسخ المصاحف بإثبات القراءات المختلفة في المصاحف التي أرسلت للأقاليم ثم حكم بالشذوذ لما خالف المصحف العثماني في الرسم أو ليس له وجه في النحو أو لم يتصل سنده بحضرة المصطفى ﷺ.

٣- أن القرآن ليس قرشياً ولكنه عربياً غلبت عليه لغة قريش ، فان قال قائل لم الغلبة للغة قريش فدونك الإجابة : إن لغة قريش هي أرقى لغات العرب ، فقد كان العرب يأتون كل عام للحج ، وينشدون الشعر في الأسواق ، ويرتجلون الخطب العصماء ، وقريش تسمع وتأخذ من كل لغة أطايبها ، وكذلك فعلت في أسفارها حتى ارتقت لغتها وزادت جزالةً وفصاحةً ، وتهيأت وتأهلت لتلقى القرآن الكريم .

وقد كان العرب يعرفون العيوب التي كانت تشوب لغاتهم ويميزون بين الجزل الفصيح وما هو دونه .. ويسلمون أن لغة قريش هي الأجزل والأكثر فصاحة .. سأل معاوية يوماً من أفصح الناس ؟ فقال

قائل (قوم ارتفعوا عن لخلجانية الفرات ، وتيامنوا عن كشكشة تميم ، وتياسروا عن كسكسة بكر ، ليست لهم غمغمة قضاعة ولا طُمطُمانية حِمْير، قال من هم ؟ ، قال قريش ، قال ممن أنت ؟ قال من جرم [1] .

٤- إن القرآن جمع العرب وشرفهم بنزول كلام ا بلغاتهم ولهجاتهم وكأني بذلك الهذلي الذي شرح لعمر رضي ا عنه أن التخوف هو التنقص ، بلغة قومه هُذيل، كأني به وهو يقف في مسجد رسول ا ﷺ بين المصلين والفخر ملء برديه ، وهو يقول لمن في المسجد لقد كرم ا قبيلته ولسانها فأنزل به قرآناً من فوق سبع سموات . وصدق ا العظيم القائل في تنزيله :{لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون} الأنبياء١٠ – أي فيه شرفكم وعزكم – تدبرت ذلك فوجدت أن القرآن الكريم لم يصهر العرب فقط في بوتقة كلماته المعطاءة بلا حدود ، بل بدّل وسخر حَمِية القبيلة وتعصبها لتكون حمية للقرآن ، بعد أن سعدوا وفرحوا بالانتماء إليه. وحميتهم للقرآن وُلِدَت أقوى بكثير من الحمية الجاهلية التي كانت تستند فقط على الروابط القبلية ، أما حمية القرآن فقد تسربلت بدثار من القدسية المهيمنة ، لكون القرآن كلام ا ، وتحلت بأزار من المحبة الصادقة والتسليم التام حيث الولاء ولوحيه ولرسوله ، وحيث البراء من كل ما هو دون ذلك.

٥- بلغ العرب في فهمهم للغتهم وتوظيفها لخدمة حياتهم شأواً بعيداً ومثال ذلك ترتيبهم لصوت الرعد من الصوت القليل إلى الصوت

---

[1] البيان والتبيين للجاحظ ج٣ ص١٠٩، اللخلخانية العجمة في المنطق يقال رجل لخلخاني أي غير فصيح ، والكشكشة هي إبدال تاء الخطاب المؤنث شيناً ، والكسكسة إبدال كاف المخاطب سيناً ، والغمغمـة الكـلام الذي لا يبين، وطمطمانية حمير بضم الطاء وجود كلمات منكرة في لغتهم ، ومثله في المفصل للزمخشري ٣٣٣ ولكنه قال (فراتية العراق) .

المتناهي : (تقول العرب رعدت السماء ، فإذا زاد صوتها قيل ارْتَجَسَتْ، فإذا زاد قيل أرزمت ودوت ، فاذا زاد واشتد قيل قَصَفَت وقَعْقَعت ، فاذا بلغ النهاية قيل جَلْجَلَتْ وهَدْهَدَتْ) [1] . وهذا المثال غيض من فيض ، فقد ألفوا في ذلك المؤلفات القيمة كفقه اللغة ، وألفوا أيضاً فيما اتفق لفظه واختلف معناه [2] . وألفوا فيما يقرأ من كلمات القرآن بالحركات الثلاث [3] ، فقد كانوا أرباب صنعة متقنين مما ساعدهم على تدبر القرآن وفهمه وتقصي معانيه بل والاستسلام بعجزهم عن مجاراته ورغبتهم في التزود والنهل من معينه العذب الصافي الذي كلما ارتوى منه الظامىء طلب المزيد فالمزيد ..

المطلب الثاني : نشأة علم النحو العربي وتطوره :-

وكان العرب يتحدثون لغتهم ويحرصون على صيانة ألسنتهم معتمدين على السجية والفطرة ، فلا يلحنون ولا يخطئون ، فلما أظهر ا الإسلام على الدين كله ، ودخل الناس في دين ا أفواجا ، اختلط حابل العرب بنابل الأجناس الأخرى ، فبدأ اللحن ، وإن كان اعتزاز العرب بلغتهم يجعلهم يعتبرون اللحن فيها جهل شنيع ووصمة تحط من قيمة اللاحن فإن لحن الأخلاط في القرآن كان أشد وقعاً على أنفسهم وأكثر إيلاماً ، لذلك تجرد علماؤهم لوضع قواعد ينحو نحوها القارئ والكاتب والمتكلم فلا يلحن .

---

١ فقه اللغة للثعالبي ١٧٨ .

٢ كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه لهبة ا بن على المعروف بابن الشجري ت٥٤٢ .

٣ تحفة الأقران فيما قرئ بالتثليث من حروف القرآن لأبي جعفر الرعيني أحد شيوخ ابن الجزري ت٧٧٩

ففي معجم الحموي أن عمر رضي ا عنه مر على قوم لا يحسنون الرمى فزجرهم ولامهم على ذلك فقالوا : (إنا قومٌ متعلمين) فازداد غضبه وقال لهم : (لخطؤكم في لسانكم أشد من خطئكم في رميكم) [1] .

ومن ذلك قصة الإعرأبي الذي تبرأ من رسول ا ﷺ لما سمع قارئاً يقرأ (إن ا برئ من المشركين ورسوله) بخفض اللام ، فدعاه عمر رضي ا عنه فروى الإعرأبي ما سمع ، فصحح له عمر رضي ا عنه الآية رافعاً اللام (ورسولُه) ، فقال الإعرأبي (وأنا وا أبرأ ممن برئ ا ورسولُه منه) ، وقيل لذلك أمر عمر رضي ا عنه أبا الأسود الدؤلي بوضع علم النحو ، وقيل أن الذي أمر أبا الأسود بوضعه هو زياد ابن أبيه فامتنع أبو الأسود ، فوضع زياد في طريقه من اشتهر باللحن في القرآن الكريم ، فشق ذلك على أبي الأسود فوضع علم النحو ، وقيل أمره معاوية رضي ا عنه كما عند ابن عطية الأندلسي توفي ٥٤٦ : (وبهذه الآية امتحن معاوية أبا الأسود حتى وضع النحو ، إذ جعل قارئاً يقرأ بخفض "ورسولُه") [2] .

ومن هنا كانت نشأة قواعد النحو العربي وقد نشأ من أجل صون اللسان عن الخطأ في القرآن ، وقد تطور تطوراً مذهلاً ، فأحكمت ضوابطه ، وفُتحت أبوابه فتنوعت زروعه وكثرت فروعه ، ونضجت ثماره وفاحت أزهاره ، وكان سيبويه هو الرائد الثاني الذي أرسى قواعد علم النحو ، يشهد له بذلك كتابه (الكبير) الذي أذهل العلماء وبذ من ألف بعده من الألِباء ، وما بين وفاة أبي الأسود الدؤلي ت٦٧هـ ، ووفاة سيبويه ت١٧٧هـ ، عقد وقرن من الزمان ، شهد هذا التطور المذهل ..

---

١ معجم الأدباء لياقوت الحموي ج١ ص٨٢ بتصرف .

٢ المحرر الوجيز لابن عطية ج٣ ص٧ .

ولعل السر في تطور علم النحو ، هو ازدياد الحاجة إليه، فالدولة الإسلامية ظلت تتسع ليزداد عدد الداخلين في الإسلام ،ويزداد معهم الخطأ واللحن في اللغة العربية وعن ذلك يحدثنا في مقدمة كتابه تثقيف اللسان وتلقيح الجنان النحوي اللغوي الفقيه أبو جعفر عمر بن خلف الصقلي ت٥٠١هـ :(فلما تمت الحُجة ، ووضحت المحجة ، هجم الفساد على اللسان وخالطت الإساءة الإحسان ، ودُخلت لغة العرب، فلم تزل كل يوم تتهدم أركانها وتموت فرسانها ، حتى استبيح حريمها ، وهُجن صميمها ، وعَفَتْ آثارها ، وطفئت أنوارها وصار كثير من الناس يخطئون وهم يحسبون أنهم مصيبون وكثير من العامة يصيبون وهم لا يشعرون ، فربما سخر المخطئ من المصيب ، وتساوى الناس في الخطأ واللحن إلا قليلاً) [١] .

وعلى الرغم ما في كلام الصقلي من الصدق والغيرة على لغة القرآن ، الا انه أغفل من تصدوا لتثقيف اللسان العربي وإصحاحه ودرء لحن المسيئ وإيضاحه، وما أبو حفص الصقلي نفسه إلا أحد هؤلاء الذائدين الذين لم يخلُ منهم بلد ولا زمان، فهم أسباب سخرهم المهيمن العليم الحكيم لخدمة لغة كتابه العزيز ، وما ذلك على ا بعزيز .

وما من لغة صمدت القرون الطوال وستبقى صامدة بعون ا على مدى الأجيال إلا اللغة العربية .. رغم حقد المتآمرين العاصف وكيد الحاقدين الخاسف .

وقد كان للبصرة شرف السبق إلى وضع علم النحو . ومن أشهر علماء النحو البصريين الخليل بن أحمد ت١٧٠ ، وسيبويه ت١٧٧ ، وأبو عمرو بن العلاء ت١٥٤ ، والأصمعى ت٢١٦ ، والمبرد ت٢٨٥ ، والزجاج ت٣١١ ، وأما النحو الكوفي فإن أشهر علمائه الكسائى ت١٨٩ ، فالفراء ت٢٠٧ ، فثعلب ت٢٩١ ، فأبي بكر الأنباري ت٣٢٨ .

---

١ تثقيف اللسان ص١٥ .

وإن كان النحو قد وُضع أساساً لصون اللسان التالي للقرآن ، فان القراءات لم تنجُ من نقد النحاة قاطبة ، وقد خفت وطأة النقد تدريجياً فنجدها على أشدها في القرون الأولى ، ثم تخف في القرن الرابع الهجري ثم يكون الاعتماد والانتصار للقراءات المتواترة بدءاً من القرن الخامس الهجري وسوف آتي بالأمثلة الداعمة لهذا التدرج بعد بيان الأسباب التي أدت بالنحويين إلى تلحين بعض القراءات ، وأجد جميع الأسباب التي هي وراء هجمة النحويين على القراءات تنطلق من منطلقين أولهما : عدم إحاطتهم باللغة العربية قال تعالى : ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم..﴾ إبراهيم عليه السلام ، ورحم ا الإمام الشافعي إذ يقول كما في الإتقان (لا يحيط باللغة إلا نبي) [1] .

والثاني : عدم علمهم ببعض القراءات المتواترة .

ولبيان ذلك أسوق مثالاً من القرآن الكريم قد أشكل على النحاة ، وقد تتبعت أقوالهم فيه فوجدت منهم من رده إلى لغات بعض القبائل ، ومنهم من وجد للفظ معنى آخر غير المتداول ، ومنهم من وجد له وجهاً من الإعراب ، ومنهم من قاسه على غيره من المتفق عليه ..ومنهم من أنكره واستحى ان يتلوه ، فتلك خمسة آراء تتمثل في قوله تعالى : ﴿قالوا إنَّ هذان لساحران﴾ طه٦٣ .

قرأ ابن كثير المكي وحفص بتخفيف إن ﴿إنْ هذٰن لسحرٰن﴾ [2] وهي القراءة التي تتفق مع رسم المصحف وإعراب المثنى الأكثر تداولاً ، والمعنى عندهما : ما هذان إلا ساحران. إنْ للنفي واللام في لساحران بمعنى إلا . وقرأ أبو

---

١ الاتقان للسيوطي ص١٨٧ .

٢ غير ان المكي يثقل النون من هذن وهي لغة معروفة مثلها قراءة المكي وأبي عمرو ورويس عن يعقوب (فذانك) القصص٣٢ .

عمرو البصري ﴿ إنَّ هذين لسحرن ﴾ وقراءته توافق ما درجت عليه العرب من نصب المثنى ب(إنَّ) المثقلة ، وقال البنا ت ١١٧: (﴿ إنَّ هذين ﴾ رسم بغير ألف ولا ياء ، وفي ذلك رد على من قال أن أبا عمرو قد خالف رسم المصحف [١] .) . وقيل أنه اعتمد على قول عثمان رضي ا عنه (في القرآن لحن تقيمها العرب بألسنتها) [٢] . وقرأ الجمهور من العشرة وهم نافع وأبو جعفر المدنيان ، وابن عامر الشامي ، ويعقوب البصري ، والكوفيون عدا حفص وهم شعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر ، فهؤلاء سبعة قرأوا ﴿ إنَّ هذن لسحران ﴾ . وقراءة الجمهور هذه تتوافق مع رسم المصحف فألف المثنى فيه قد كتبت وهي لغة بني الحارث بن كعب وزبيد وخثعم وكنانة ، يجعلون رفع الاثنين ونصبه وخفضه بالألف يقولون (جاء الزيدان، ورأيت الزيدان ، ومررت بالزيدان) .

حكى ذلك أئمة اللغة : الكسائى والفراء وأبو عبيدة والأخفش وغيرهم [٣] . ويدعم هذا القول الشواهد الشعرية ، قال الفراء أنشدني رجل من الأسد عن بني الحارث :

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى مساغاً لناباه الشجاع لصمما [٤]

والشاهد قوله (لناباه) ولم يقل لنابيه .

وقال الكسائى هي لغة بني الحارث وأنشد قول شاعر منهم :

---

١ إتحاف فضلاء البشر ج٢ ص٢٤٩ . يعني في هذه الآية لا غير .

٢ المقنع لأبي عمرو الداني ص١١٧ ، وليس المقصود باللحن الخطأ وإنما المعنى خروج من لغة قـريش إلى لغة غيرهم ، انظر المرجع نفسه ص(١١٥ – ١٢٢) ففيه تفصيل .

٣ الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص١٤٥.

٤ البيت للمتلمس كما في اللسان (صمم) ، والشجاع ذكر الحية ، وصَمَّمَ : عض في العظم ، معاني القرآن للفراء ج٢ ص١٨٤ .

تَزَودَ منا بين أُذْنَاهُ ضربةً   دَعَتْهُ إلى هأبي التراب عقيمِ

والشاهد قوله (أذناه) ولم يقل أذنيه [1] ، ومن الشواهد على تداوله هذه اللغة قول الشاعر [2] :

إن أباهــا وأبا أبــاها   قد بلغا في المجــد غايتــاها

ولم يقل (أبا أبيها) و(غايتيها)

ومنهم من فسر (إن) بمعنى (نعم) ، قال القرطبي : (كما حكا الكسائى عن عاصم قال العرب تأتي بـ (إن) بمعنى (نعم) وحكى سيبويه أن (إن) تأتي بمعنى أجل ..) ثم جاء القرطبي بما أورده النحاس بسنده عن علي بن أبي طالب رضي ا عنه قال : (لا أحصى كم سمعت رسول ا ﷺ يقول على منبره "إن الحمدُ نحمده ونستعينه" وإلى هذا التخريج ذهب المبرد ت٢٨٥ والأخفش الصغير ت بعد ٣٦٠هـ .

وقال أبو اسحق الزجاج ت٣١١ : (أجود ما سمعت في هذا : أن (إن) وقعت موقع (نعم) وإن اللام وقعت موقعها والمعنى (نعم هذان لهما ساحران) [3] .

ومنهم من وجد لقراءة الجمهور وجهاً نحوياً .. قال أبو حيان ت٧٥٤ : (فقال القدماء من النحاة أنه على حذف ضمير الشأن والتقدير إنّه هذان لساحران واللام في (لساحران) داخلة على خبر المبتدأ ، وضعف هذا القول بأن حذف هذا الضمير لا يجئ إلا في الشعر وبأن دخول اللام في الخبر شاذ .

---

١ معاني القراءات للأزهري وفي لسان العرب (هبا) والبيت للشاعر هَوْبر الحارثي ، والهأبي من التـراب ما ارتفع ودقّ .

٢ البيت منسوب إلى الفضل بن قدامة العجلي ، وقيل لرؤبة بن العجاج ، انظر حجة ابن خالويه ص٢٤٢.

٣ معاني القراءت للأزهري .

وقال الزجاج اللام لم تدخل على الخبر بل التقدير (لهما ساحران) فدخلت على المبتدأ المحذوف ، واستحسن هذا القول شيخه أبو العباس المبرد) [1] .

وممن وجد لهذه القراءة مخرجاً في القياس أبو زكريا الفراء ت٢٠٧ قال : (وجدت الألف من (هذا) ثابتة على حالها لا تزول على كل حال ، كما قالت العرب (الذي) ثم زادوا نوناً تدل على الجمع فقالوا الذِيْن في رفعهم ونصبهم وخفضهم ، كما تركوا (هذان) في رفعه ونصبه وخفضه ، وكنانة يقولون (اللذون) [2].

وممن وجد لها مخرجاً في القياس بعض الكوفيين .. فعندهم (الالف في "هذان" مشابهه للألف في "يفعلان" فلم تتغير) قاله القرطبي [3].

وكذلك وجد لها وجهاً في القياس ابن كيسان [4] ، قال (القول عندي أنّه لما كان يقال (هذا) في موضع الرفع والنصب والخفض على حال واحدة ، وكانت التثنية يجب ألا يغير لها الواحد ، أجريت التثنية مجرى الواحدة) [5] .

وبعد .... فقد وقفت خاشعاً متدبراً متأملاً هذه الكلمات الثلاث (إنَّ هذان لساحران) والتي هي جزء من آية واحدة من كتاب ا العزيز فوجدت أنها :-

- حوت الأركان الثلاثة التي قام عليها علم النحو : السماع ، القياس والإجماع . **فالسماع** يتمثل في جعل المثنى على الألف في الرفع والنصب والجر فهي لغة مسموعة نزل بها القرآن ووردت في أشعارهم وإن كانت أقل تداولاً ، **والقياس**

---

١ البحر المحيط ج٧ ص٣٤٩ .

٢ معاني القرآن ج٢ ص١٨٤ والجامع لأحكام القرآن ج٦ ص١٤٦ .

٣ الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص١٤٦ .

٤ أبو الحسن محمد بن كيسان نحوي جمع المذهبين البصري والكوفي ت٢٩٩هـ ، إنباه الرواة للقفطي ج٣ ص٥٧ .

٥ الجامع لأحكام القرآن المجلد السادس ص١٤٧ .

يتمثل في معاملته معاملة الجمع من لفظ (الذين)، أو معاملته كالألف في (يفعلان)، أو الألف من (هذا) **وأما الإجماع** فهو في قراءة حفص يجعل إن مخففة (إنْ هذان) فيكون لا عمل لها فيرتفع ما بعدها ، وأيضاً على قراءة أبي عمرو يجعل إنّ المثقلة تنصب الاسم وترفع الخبر (إنّ هذين) .

- ووجدت فيها أيضاً اختلاف النحاة في الإعراب ، فبرغم اتفاقهم على حذف ضمير الشأن بتقدير "إنه هذن لساحرن"فقد أخطأ قدامى النحاة حينما ضعفوا هذا الوجه بحجة أن دخول اللام في الخبر شاذ ، ورد قولهم الزجاج مبيناً أن اللام لم تدخل على الخبر بل على المبتدأ المحذوف فالتقدير عنده (لهما ساحران) .
- ووجدت فيها تصديقاً لمقولة الشافعي (لايحيط باللغة إلا نبي) فنجد أبا عمرو البصري على رفعة منزلته في النحو واللغة وعلم القراءات ، لم يسمع بوجه النحو الذي يجعل المثنى على الألف في كل حالاته على شهرته ، ولم يبلغه عن (إن) أنها تأتي بمعنى (نعم) ولم يُلِم بقراءة الجمهور (إن هذان) حتى أنه ليقول (إني لأستحي من ا   أن أقرأ "إن هذان") [1] .
- ووجدت فيها بعض أسباب تلحين النحاة للقراءات بسبب عدم إلمامهم بمعنى كل كلمة قرآنية ، ولغياب بعض أوجه الإعراب عن بعضهم ولعدم إلمامهم بكل قراءة متواترة .. وسأعود لهذه الأسباب وغيرها إن شاء ا   .
- ووجدت فيها دور القرآن الكريم الفاعل في الارتقاء باللسان العربي من حيث تطوير الإعراب ، وإضافة معانٍ جديدة مكتسبة من بعض الألفاظ ، وشحذ العقول واستنفار همم النحاة ، ليستدلوا بالشواهد الشعرية المسموعة ، وبالقياس ، وبالاجتهاد المبني على أسسهم التي وضعوها .. وهل كان للنحو أن يتقاعس عن

---

١ الجامع لأحكام القرآن المجلد السادس ص١٤٥ .

ركب المنتفعين بالقرآن الكريم الذي لم يترك منحىً من مناحي حياة الإنسان وجميع ما يمت له بصلة إلا وقد أثر فيه تأثيراً نافعاً فاعلاً راقياً .

وإن كلمات ا لا تحصى ولا تعد ، قال تعالى : ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا﴾ الكهف ١٠٩ . وقد حوت مفردات اللغة العربية خصائص تميزت بها عن سائر اللغات ، ومن هذه الخصائص اشتراك الكلمة في اللفظ مع تعدد المعاني وهو ما يسمى (الوجوه والنظائر) ومنها التضاد ، ومنها وجود ألفاظ تكلمت بها بعض القبائل دون سائرها ، ومنها ما يبدو مترادفاً ، ولكن المعنى يختلف ، ومنها ألفاظ الاتباع . وغير ذلك .

فمن أمثلة الوجوه والنظائر كلمة (الرحمة) قال أبو الفرج بن الجوزى ت٥٩٧هـ : (وذكر أهل التفسير أن الرحمة في القرآن على ستة عشر وجهاً) ، ثم عدد هذه الأوجه مستشهداً لكل وجه بآية أو أكثر من الكتاب العزيز :-

أحدها (الجنة) : قال تعالى ﴿فسيدخلهم في رحمة منه وفضل﴾ النساء ١٧٥

والثاني (الإسلام) : قال تعالى ﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾ الإنسان ٣١

والثالث (الإيمان):قال تعالى على لسان صالح عليه السلام ﴿وآتانى منه رحمة﴾ هود "عليه السلام"٦٣

الرابع (النبوة) : قال تعالى ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ الزخرف ٣٢

الخامس (القرآن): قال تعالى ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾ يونس "عليه السلام"٥٨

السادس (المطر) : قال تعالى ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله﴾ الروم ٥٠

السابع (الرزق) : قال تعالى ﴿آتنا من لدنك رحمة﴾ الكهف ١٠

الثامن (النعمة) : قال تعالى ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ الكهف ٦٥

التاسع (العافية) : قال تعالى ﴿أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته﴾ الزمر ٣٨

العاشر (النصر) : قال تعالى ﴿إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة﴾ الأحزاب ١٧

الحادي عشر (المِنة) : قال تعالى ﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك﴾ القصص ٤٦

الثاني عشر (الرقة) : قال تعالى ﴿وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة﴾ الحديد ٢٧

الثالث عشر (المغفرة) : قال تعالى ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ الأنعام ٥٤

الرابع عشر (السعة) : قال تعالى ﴿ذلك تخفيفٌ من ربكم ورحمة﴾ البقرة ١٧٨

الخامس عشر (المَوَدة) : قال تعالى ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ الفتح ٢٩

السادس عشر (العِصمة) : قال تعالى ﴿إنّ النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى﴾ يوسف "عليه السلام"٥٣ ، ثم قال ابن الجوزى وألحق بعضهم وجهاً سابع عشر :-

السابع عشر (الشمس) : قال تعالى ﴿وهو الذي يُنَزِّل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته﴾ [١] الشورى٢٨

---

١ نزهة الأعين لابن الجوزى ص(٣٣١ – ٣٣٤) بتصرف .

وأما الضد فهو أنْ تحتمل الكلمة مَعْنَيَيْن مختلفين ، ومن ذلك كلمة : وراء فهي كما في اللسان وكتب التفسير واللغة بمعنى خَلْف وبمعنى قُدام ، قال تعالى ﴿ وكان ورائهم مَلكٌ يأخذ كلَّ سفينةٍ غصْبا ﴾ الكهف ٧٩ والمعنى : وكان أمَامَهم ، وقال تعالى ﴿ من ورائهم جهنم ﴾ الجاثية ١٠ أي أمامهم .

وقال لبيد بن معمر :

أليس ورائي إنْ تراخت منيتي لزومُ العصا تُثنى عليها الأصابعُ

وقد يكون للكلمة التي هي من الأضداد معانٍ أخرى ، فمن معاني الوراء عند العرب: ولد الولد .. قال تعالى ﴿ ومن وراء إسحق يعقوب ﴾ – هود ٧١ [1] ، فيعقوب ولد إسحق ولد إبراهيم عليهم السلام .وحكى ابن الأنباري ت٣٢٧ عن رجل من هذيل جاء لابن عباس رضي ا عنهما فقال له : ما فعل فلان ؟ قال مات وترك كذا وكذا من الولد وثلاثة من الوراء ، يريد ولد الولد ، ووراءه أي سِواءه ومنه قوله تعالى : ﴿ ويكفرون بما وراءه ﴾ البقرة٩١ أي سِواءه .

ويأتي مقصوراً : الورى : بمعنى الخَلق والناس ، ومن ذلك قولنا (محمد ﷺ خير الورى) ، ومن معاني الورى : قَرح يكون في الجوف فمن دعائهم (سَلط ا عليه الورى وحُمى خيبرا وشر ما يُرى فإنه خَيْسَري) وخيسري من الخسران .

---

١ هود عليه السلام ٧١ ، وقرأ يعقوبَ بالفتح لحفص وحمزة وابن عامر وباقى العشرة بالضم .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي ا عنه قال قال رسول ا ﷺ (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يَرِيَهُ خير من أن يمتلئَ شعراً) ، ولها معاني أخرى مبسوطة في لسان العرب [1] .

ومن الألفاظ ما تكلمت بها بعض القبائل دون غيرها ، فمما ورد بلغة اليمن:الطلح وهو الموز، سامدون: مغنون ، اللهو: المرأة [2]،وقد وردت الألفاظ في القرآن فهي تباعاً: ﴿وطلح منضود﴾ الواقعة ٢٩ ، ﴿وأنتم سامدون﴾ النجم ٦١، ﴿لو أردنا أن نتَّخذ لهواً﴾ الأنبياء١٧.

ومن خصائص اللغة العربية أن يحتمل اللفظ معنين أحدهما متداول والآخر أقل تداولاً، ولكنه قد يكون أكثر إثراءً للمعنى ، وأقوى بياناً له .. ومن ذلك (البَرْد) فهو خلاف الحر ، والبرد أيضاً : النوم بلغة هذيل ٣ ، قال تعالى {لا يذوقون فيها برداً ولا شرابا} النبأ ٢٤

قلت انظر كيف تجسد عذاب أهل النار بهذا المعنى ، فهم في سواء الجحيم لا ينامون ولا يشربون . ألا ترى كيف ينتزع الطغاة أقوال خصومهم بمنعهم من النوم والشراب فكيف بمن كان ذلك حاله في نار جهنم وفي خلود سرمدي ، نسأل ا السلامة .

ومن ذلك قوله تعالى {وقيل مَنْ راق} – القيامة ٢٧، قال مكي : (من يرقيها فيشفيها وقيل معناه من يرقى بالروح أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب) ٤ .

١ الأضداد لابن الأنباري ص(٦٨ – ٧١) ، وتفسير المشكل المكي بن أبي طالب ص٢٤٠ وص ٣١٤ ، ولسان العرب (ورى) . والحديث في صحيح مسلم رقم ٢٢٥٨ ص ١٤٠٤ .

٢ تفسير المشكل على أبي طالب ص٣٢٨ والإتقان للسيوطي ج١ ص١٧٥ .

٣ مفردات ألفاظ القرآن للراعب الأصفهانى ص١١٧ وتفسير المشكل ص٣٧١ .

٤ تفسير المشكل ص٣٦٦ ، ونزهة القلوب للسجستاني ص ٤٩٤.

قلت بقدر تعلقنا بالدنيا يكون توجهنا للمعنى الأول ، حيث التساؤل عن الطبيب المعالج ، وخطورة المرض ، وأسبابه ، بينما المعنى الآخر يدوي في الأعماق : أن اعتبر يا قارئ القرآن وسامعه وتفكر حينما يكون ذلك مصيرك . أي الملكين يرقى بك .. ملك الرحمة أم ملك العذاب ؟ وكذلك فإن كلا من المعنيين يكمل الآخر ، وحتى في أمثلة الأضداد لا تجد في كلام ا تضاد بل تجد إضافة تزيد المعنى إثراءً ووضوحاً وجمالاً ، والحمد القائل {أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير ا لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا} النساء ٨٢ .

والإِتْبَاع : إتباع الكلمة كلمة على وزنها ورَويها إشباعاً وتأكيداً ومثال ذلك: قَسِيم ، وَسِيم، ضَئِيل ، تَئِيل ، جَديد قَشِيب ، مُضِيع ، مُسِيع [١] .

ومن خصائص اللغة العربية الألفاظ والمصطلحات التي أثرى بها الإسلام لغة العرب كالمصطلحات الفقهية ، وأسماء ا الحسنى ، وأسماء يوم البعث ، وأسماء النار وغيرها ، وهذا غيض من فيض خصائص العربية التي لا يتسع المجال لبسطها وقد ألف فيها العلماء الحاذقون مؤلفات قيمة ذاخرة ، فأنى لبشر أن يحيط بها ؟ ، و در الشافعي القائل : (لا يحيط باللغة إلا نبي) .

المطلب الثالث : موقف الأئمة المفسرين من القراءات :-

وبعد هذا البسط لخصائص وسعة وثراء مفردات اللغة العربية وعجز البشر عن الإحاطة بها أسوق بعون ا ومشيئته موقف الأئمة المفسرين من القراءات المتواترة كمدخل لموقف النحويين منها .

لقد سبق المفسرون النحويين في نقدهم لبعض القراءات ، قال تعالى : (حتى إذا استيئس الرّسل وظنوا أنهم قد كُذِبوا . .) يوسف عليه السلام ١١٠ .

---

١ المزهر للسيوطي ج١ ص٤١٦ .

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب : كُذبوا بكاف مضمومة وذال مثقلة ، وقرأ أبو جعفر والكوفيون الأربعة عاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر : كُذِبوا بكاف مضمومة وذال مخففة، وقرأ ابن عباس ومجاهد بن جبر والضحاك بن مزاحم كذَبوا [١] بكاف مفتوحة وذال مخففة ، والمعنى على قراءة نافع ومن وافقه : حتى إذا آيس الرسل أنْ يستجيب لهم قومهم وظن قومهم ، أن الرسل قد كذبوهم ، نصرنا رسلنا ، والمعنى على قراءة الكوفيين وأبي جعفر المدني : حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم وظن قومهم أنّ الرسل قد كُذِبوا أي أُخلفوا ما وُعِدوا به من النصر ، جاء الرسلَ نصُرنا .

وقد بسط ابن جرير الشرح للقراءتين المتواترتين وذكر بسنده عن ابن عباس تسع روايات تتفق جميعها مع التفسير المذكور لقراءة نافع ومن معه كما ذكر لقراءة الكوفيين وأبي جعفر ست روايات لابن عباس تدور جميعها حول التفسير الذي ذكر ودعمها بروايات مماثلة عن سعيد بن جبير وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين .

ثم ذكر الطبري تفسيراً آخر لقراءة الكوفيين قال : (وقد ذهب قوم ممن قرأ هذه القراءة إلى غير التأويل الذي اخترنا ، ووجهوا معناه إلى حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم وظنت الرسل أنهم قد كُذبوا فيما وُعِدُوا من النصر) ، ثم ذكر بسنده نسبة هذا التفسير لابن عباس وقال قال ابن عباس : (كانوا بشراً ضعفوا ويئسوا) وبسنده ذكر الطبري التفسير نفسه عن ابن مسعود وأورد قول ابن مسعود

---

[١] وهي قراءة شاذة نسبها الطبري لمجاهد ، ونسبها ابن جنى للمذكورين الثلاثة انظر تفسير الطبـري ج٧ ص(٥٨ – ٥٩) والمحتسب ج١ ص٣٥٠ .

لسائله (هو الذي تكره)[1] ، كما ذكر التفسير نفسه بسنده عن سعيد بن جبير وأورد قول سعيد (ألم يكونوا بشراً ؟) .

و في صحيح البخاري وبسنده في سورة البقرة (قال ابن عباس رضي ا عنهما حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كُذِبوا خفيفة ذهب بها هناك [2] وتلا : ﴿حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إنّ نصر الله قريب﴾ . فلقيت عروة ابن الزبير فذكرت له ذلك فقال قالت عائشة معاذ ا وا ما وعد ا رسوله من شئ قط إلا علم أنه كائن قبل أن يموت ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون من معهم يكذبونهم فكانت تقرؤها وظنوا أنهم قد كُذبوا مثقلة) [3] .

وبسنده أورد البخاري عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي ا عنها قالت له وهو يسألها عن قول ا تعالى : ((حتى إذا استيأس الرسلُ) ، قال قلت أكُذِبوا أم كُذبوا ؟ ، قالت عائشة كُذبوا ، قلت فقد استيقنوا أن قومهم كذّبوهم فما هو بالظّن ، قالت أجل لعَمْرى لقد استيقنوا بذلك فقلت لها وظنوا أنهم قد كُذِبوا ، قالت معاذ ا لم تكن الرسُل تَظُن ذلك بربها، قلت فما هذه الآية قالت هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى استيأس الرسل ممن كذبوهم جاءهم نصر ا عند ذلك) . ثم بسنده عن عروة (فقلت لعلها كُذِبوا مخففة ، قالت معاذ ا نحوه) [4] .

---

[1] أي تكره ان تحدثك نفسك بان الرسل ظنوا أنهم قد كذبوا فيما وعدوا به . تفسير الطبري ج٧ ص (٥٨ – ٦٠) .

[2] هناك : أي إلى قوله تعالى في سورة البقرة (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا مـن قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر ا ألا إنّ نصر ا قريب) البقرة ٢١٤ .

[3] صحيح البخاري ج٥ ص١٦٠ .

[4] صحيح البخاري ج٥ ص٢١٨ .

حاصل القراءتين قراءة التخفيف وقراءة التثقيل أن يكون الظن بمعناه المتداول عند إسناده لأتباع الرسل ، وإن يكون بمعنى اليقين حين إسناده للمكذبين الكافرين ، فيكون المعنى أملى ا للكافرين وتمتعوا وطال عليهم العمر حتى خاف الرسل أن يكذبهم قومهم المؤمنون ويرتابوا في صدق رسالتهم وحتى ظن الكافرون أن الرسل قد كذبوا عليهم ، وأن الرسل كُذِبوا فيما وُعِدوا به .

والشاهد أن السيدة عائشة رضي ا عنها ردت التفسير الذي نسبه الطبري لابن عباس وابن مسعود وابن جبير رضي ا عنهم وفحواه : (أن الرسل استيأسوا من إيمان قومهم وظنوا أنهم قد كُذِبوا فيما وُعدوا به من نصر) ، يحدوها في ذلك إيمان وثقة في نصر ا لرسله والمؤمنين ، وأنها رضي ا عنها ردت قراءة التخفيف قال عروة : (فقلت لعلها كُذِبوا مخففة قالت معاذ ا نحوه) وغاب عنها رضي ا عنها أن لقراءة التخفيف تفسيراً يتلائم مع قراءة التثقيل ، وهل يحيط بلغة قوم إلا نبيهم ! .

وما حدث للسيدة عائشة من إنكار لقراءة التخفيف التي تومئ أول وهلة أن الرسل. وهم بشر - يئسوا من نصر ا حدث لغيرها من المسلمين فبسنده ذكر الإمام الطبري : (أن مسلم بن يسار سأل سعيد بن جبير فقال يا أبا عبد الرحمن آية بلغت مني كل مبلغ "حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا". فهذا الموت أن تظن الرسل أنهم قد كُذبوا أو تظن أنهم قد كُذِبوا مخففة ، قال فقال سعيد بن جبير يا أبا عبد الرحمن حتى إذا استيأس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم وظن قومهم أنّ الرسل كذبتهم جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ، قال فقام مسلم إلى سعيد فاعتنقه وقال فرج ا عنك كما فرجت عني) [1] .

---

[1] جامع البيان المجلد السابع ص55 .

ويلاحظ أن ابن عباس ومن وافقه رضي ا عنهم فسروا الآية بما فسرته السيدة عائشة رضي ا عنها ، وفسروا على قراءة التخفيف تفسيراً يتوائم وتفسير قراءة التثقيل وزادوا تفسيراً ثالثاً بنوه على أن الرسل بشر . وعلى قوله تعالى : ﴿ حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ البقرة ٢١٤ . ولآية البقرة تفسير آخر أورده في هذه اللطيفة :-

قال أبو حيان في البحر المحيط عند تفسير هذه الآية من سورة البقرة : (والذي يقتضيه النظر أن تكون الجملتان داخلتين تحت القول وإن الجملة الأولى من قول المؤمنين قالوا ذلك استبطاء للنظر وضجراً مما نالهم من الشدة ، والجملة الثانية من قول رسولهم إجابة لهم وإعلاماً بقرب النصر فتعود كل جملة لمن يناسبها [1] .

قلت وهذا الذي تألفه النفس وينشرح له الصدر ويتوائم مع قراءة التثقيل والتخفيف وقد وجدت مثله في قوله تعالى : ﴿ فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها .. ﴾ التوبة ٤٠ ، أي أن السكينة نزلت على أبي بكر الصديق رضي ا عنه والتأييد للرسول ﷺ ، فالضمير في (عليه) يعود إلى أبي بكر الصديق رضي ا عنه وفي (أيده) يعود على الرسول ﷺ ، ولم تفارق السكينة رسولنا ﷺ ودليل ذلك : ﴿ إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ التوبة ٤٠.

قال الداني (﴿ فأنزل سكينته عليه ﴾ كافٍ إذا جعلت الهاء في عليه للصديق رضي ا عنه وهو الاختيار [2] .)

---

١ البحر المحيط ج٢ ص٣٧٤ والجملة الأولى (متى نصر ا) والثانية (ألا إن نصر ا قريب) .

٢ وأورد الداني بسنده قول سعيد بن جبير (فأنزل ا سكينته عليه) قال أبي بكر الصديق رضي ا عنه لأن النبي ﷺ لم تزل السكينة معه وعزا بعضهم هذا القول لابن عباس رضي ا عنهما .. المكتفي في الوقف والابتدا ص٢٩٣ .

ولم يشر إلى هذا التفسير ابن عباس رضي ا عنهما حبر القرآن وإمام المفسرين ، فاستدل بآية البقرة ليدعم بها تفسيره لآية سورة يوسف عليه السلام بينما آية البقرة تحتمل أكثر من تفسير كما تم بيانه .

ومن المفسرين الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري مؤلف جامع البيان في تفسير القرآن [١] ، وكتابه الذي أثنى عليه العلماء ، يشهد بسعة علم الرجل فهو فقيه ومحدث ومفسر وعالم من علماء القراءات والتاريخ .. ورغم ذلك نجده يرد بعض القراءات ويفضل بعضها على بعض وأسوق لذلك بعض الأمثلة :-

قال تعالى على لسان قوم نوح عليه السلام ﴿ .. وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأي .. ﴾ هود عليه السلام ٢٧ ، وهي قراءة الجمهور، وقرأ أبو عمرو وحده (بادئ الرأي) ، والمعنى على قراءة الجمهور : ما اتبعك فيما يبدو لنا من الرأي إلا أراذلنا ، وعلى قراءة الهمز ما اتبعك في بداية دعوتك إلا الأراذل ، وهو قول مكي ، وقال ابن زنجلة في قراءة الهمز اتبعوك ابتداء الرأي ولم يتدبروا ، ولو تفكروا ما اتبعوك [٢] .

قال الإمام الطبري (وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا قراءة من قرأ "بادى الرأي" بغير همز البادى وبهمز الرأي لأن معنى ذلك الكلام إلا الذين هم أراذلنا في ظاهر الرأي وفيما يظهر لنا) [٣] فرد الإمام الطبري قراءة أبي عمرو ،

---

١ ت٣١٠هـ قال عنه السيوطي (وكتابه أجل التفاسير وأعظمها) الاتقان ج٢ ص٢٤٣ ، وقال عنه ابن الجزري (وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، وكان حافظاً لكتاب ا عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني فقيهاً في أحكام القرآن عالماً بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها ناسخاً ومنسوخاً عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين عارفاً بأيام الناس وأخبارهم) غاية النهاية ج٢ ص١٠٧ .

٢ الكشف للمكى ج١ ص٥٢٦ ، الحجة لابن زنجلة ص٣٣٨ .

٣ جامع البيان المجلد السابع ص١٧ .

مع أنّ لها أكثر من معنى يثرى القراءة والتفسير فضلاً عن تواترها ، وتوافقها مع ما كان عليه الأمر أول الدعوة من إيمان المستضعفين قبل سادة قريش وأشرافهم .

وفي آخر سورة الرعد ﴿وسيعلم الكفّٰر لمن عقبى الدار﴾ الرعد٤٢ على الجمع وهي قراءة الكوفيين وابن عامر ، وقرأ الحرميان وأبو عمرو (الكافر) على الإفراد وقراءة الإفراد التي خطأها الإمام ابن جرير لها معنيان ، الأول : قال أبو عمرو بن العلاء : (عني به أبو جهل) ومثلها في القرآن قوله تعالى ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا﴾ النبأ ٤٠ ، والثاني الكافر واحد والمعنى الجمع ، على الجنس أي سيعلم كل من كفر من جنس البشر[1] .

قال الإمام الطبري : (واختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته قُراء المدينة وبعض أهل البصرة ﴿وسيعلم الكافر﴾ على التوحيد ، وأما قراء الكوفة فإنهم قرؤوه :﴿وسيعلم الكفار﴾ على الجمع ، والصواب من القراءة في ذلك القراءة على الجمع ﴿وسيعلم الكفّار﴾ لأن الخبر جرى قبل ذلك عن جماعتهم ، واتبع بعده الخبر عنهم وذلك قوله : ﴿وإمَّا نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينّك﴾ وبعده قوله : ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلاً﴾، وقد ذكر أنها في قراءة ابن مسعود وسيعلم الكافرون ، وفي قراءة أبي وسيعلم الذين كفروا ، وذلك كله دليل على صحة ما اخترناه من القراءة في ذلك) [2] .

و يلاحظ أنه رغم الحجج الجيدة التي دعم بها الإمام الطبري اختياره لقراءة الجمع فإنه:

---

١ انظر حجة ابن زنجلة ص٣٧٥ .

٢ جامع البيان ص١١٨ سورة الرعد ج١٣.

- قال (قراء المدينة وبعض أهل البصرة) ولم يذكر ابن كثير المكي
- وقال (أما قراء الكوفة) ولم يذكر معهم ابن عامر الشامي
- استعمل كلمة (الصواب) مما يومئ بأن القراءة الأخرى خطأ وهي متواترة وقرأ بها نفر من أئمة القراءات المعتبرين بل والمتصدرين
- رجح قراءة الجمع بقراءات شاذة مخالفة لرسم المصحف ورد المتواترة ولعل منشأ ذلك اجتهاده رحمه ا ، وعدم الإجماع في وقته على قراءة بعينها ، وعدم بلوغه جميع ما تواتر عنهم ، فقد أغفل ذكر ابن كثير المكي وابن عامر ، والأمثلة على ذلك كثيرة لكل مُطلع على تفسير الإمام الطبري .

وعلى نهج الإمام الطبري في التفسير يمضى الزمخشري صاحب الكشاف ت٥٣٨ ومن أمثلة ذلك :-

قال تعالى ﴿إذ يُغَشِّيكم النعاس أمنةً منه ويُنَزِّلُ عليكم . . ﴾ وهي قراءة ابن عامر والكوفيين الأربعة ويعقوب وقرأ المدنيان ﴿إِذْ يُغْشِيكُمُ النعاسَ﴾ بشين مخففة، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿إِذْ يَغْشَاكُمُ النُّعَاسُ﴾ .

قال الزمشخري [(إذ يغشاكم) بدل ثان من (إذ يعدكم) أو منصوب بالنصر أو بما في (من عند ا) من معنى الفعل ، أو بما جعله ا أو بإضمار اذكر . وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير عز وجل] انتهي . ويلاحظ :

- لا ينسب الزمشخري كدأبه في تفسيره القراءة لمن قرأ بها من السبعة ورواتهم ويكتفي فقط بذكر القراءة وتوجيهها من حيث الإعراب ففقد تفسيره الكثير .
- لم يشر مطلقاً إلى قراءة (يُنَزِلُ) ، وقد قرأها الجمهور مثقلة ، والمكي والبصريان مخففة

- ويقول في سورة إبراهيم عليه السلام عند قوله تعالى ﴿وما أنتم بمصرخيّ﴾، (وقرئ بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة) وقال (ولكنه غير صحيح...) فهو يصف قراءة متواترة بالضعف وعدم الصحة.

- وقد تتبعت كلمة (القدس) في تفسير الزمخشري فتوصلت لما يلي :-

- وردت (القدس) في الكتاب العزيز أربع مرات آية ٨٧ و ٢٥٣ في سورة البقرة ، وآية ١١٠ سورة المائدة ، وآية ١٠٢ سورة النحل .

- قرأ ابن كثير بإسكان الدال (القدْس) في المواضع الأربعة ، وقرأ الجمهور بضم الدال .

- لم يشر الزمخشري إلى قراءة ابن كثير في مواضعها الثلاثة في البقرة والمائدة ، وأشار إليها في سورة النحل فقط قائلاً (وقرئ بضم الدال وسكونها) وكعادته لم يذكر القراء ، ولا يخفى أن عدم ذكره لقراءة ضم الدال وإسكانها في ثلاثة مواضع متقدمة وذكره لها فقط في الموضع الرابع الأخير يدل على عدم معرفته بتلك القراءة المتواترة ، ويوهم أنّ الخلاف الواجب فقط في الموضع الرابع بينما الخلاف المتواتر في جميع المواضع [1].

ثم نجد حافلة المفسرين بعد الزمخشري ، تضم أبا محمد عبد الحق بن غالب المشهور بابن عطية ت٥٤٦ وتفسيره : المحرر الوجيز والإمام أبا عبد ا محمد بن عمر التميمي الشهير بالإمام الرازي ت٦٠٦ وتفسيره : مفاتح الغيب أو التفسير الكبير وأكثر ما يطلق عليه تفسير الفخر الرازي ، والإمام أبا عبد ا محمد بن أحمد القرطبي ت٦٧١ وتفسيره : الجامع لأحكام القرآن ، والإمام أبا حيان محمد بن

---

١ انظر الكشاف ج١ ص١٦٢ ، ٢٩٧ - ٦٩١ و ج٢ ص ٦٣٥ .

يوسف الأندلسي ت٧٤٥ وتفسيره : البحر المحيط، والإمام أبا الثناء شهاب الدين السيد الألوسي ت ١٢٧٠هـ وتفسيره : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، وغيرهم .

ويلاحظ أن هؤلاء الآخِرين من المفسرين قد نسبوا القراءات إلى قرائها ، وزاد بعضهم بذكر الشواذ ولكنهم جميعاً أقل نقداً للقراءات ، وغالباً ما يكتفي المفسر منهم بذكر الآراء المتعددة ولا يرجح رأياً على الآخر ، وإن كان منهم من وقف موقف المدافع عن القراءات كأبي حيان الأندلسي وأبي الثناء الألوسي[١] ولعل من أهم أسباب ذلك ، هيمنة القراءات المتواترة وازدياد معرفة العلماء بها لا سيما بعد أن ألف ابن مجاهد ت٣٢٤ كتابه (السبعة) ، ومن الأسباب أيضاً : الأسس التي بني عليها المفسرون تفسيرهم ، فهي أسس قوية البنيان لا لبس فيها ولا غموض بخلاف الأسس التي قام عليها النحو العربي فأسس المفسرين هي :

تفسير القرآن بالقرآن ثم تفسيره بالسنة ، ثم بأقوال الصحابة رضوان ا عليهم ، ثم بأقوال التابعين ، ثم بلغات العرب ثم تفسيره بالرأي المستند على كل ما سبق أو بعضه ، بينما بني النحويون أسسهم على الإجماع والسماع والقياس .

---

[١] نسبة إلى قريته وهي من قرى بغداد .

المطلب الرابع : أسباب رد النحويين للقراءات المتواترة :-

من الثوابت أنّ جميع القراء كانوا عرضة لنقد النحويين ، ولم ينج قارئ منهم من نقدهم ولبيان ذلك اكتفى بذكر تلحين قراءتين أو قراءة لكل قارئ من السبعة ، ولا أذهب بعيداً فجميع الأمثلة من البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى :-

قال تعالى : ﴿ . . . إذ أنتم بالعُدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى . . . ﴾ الأنفال ٤٢ ، قرأ نافع وابن عامر والكوفيون الأربعة وأبو جعفر المدنى بضم العين فى الموضعين ، وقرأ المكى والبصريان بكسر العين . وفى البحر المحيط : (العدوة شط الوادى وتسمى شفيراً وضفة ، سميت بذلك لأنها عدت ما فى الوادى من ماء أن يتجاوزه أى منعته) ثم (وأنكر أبو عمرو الضم) ... وقال أبو عبيد [١] (الضم أكثرهما) وأبو عمرو هو أبو عمرو البصرى أحد القراء السبعة ، ومع ذلك أنكر قراءة متواترة قرأ بها سبعة قراء ، خمسة من السبعة واثنان من الثلاثة المتممين للعشرة [٢] .

قال تعالى ﴿ قد سمع الله قول التى تجادلك . . ﴾ المجادلة ١ ، أدغم دال (قد) فى سين (سمع) أبو عمرو وهشام وحمزة والكسائى وخلف العاشر وأظهرها الباقون وهم (نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم، وأبو جعفر ويعقوب) وفى البحر المحيط (قال خلف بن هشام البزار [٣]: سمعت الكسائى يقول (من قرأ (قد سمع) فبين الدال

١ أبو عبيد القاسم بن سلام صاحب فضائل القرآن ت٢٢٤ .
٢ البحر المحيط ج٥ ص٣٢٧ .
٣ خلف بن هشام هو راوى حمزة وأحد القراء العشرة ت٢٢٩ .

عند السين فلسانه أعجمى ليس بعربى) ، ثم قال صاحب البحر (ولا يلتفت إلى هذا القول فالجمهور على البيان) [1] .

قال تعالى : (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائةٍ سنينَ. . .) الكهف ٢٥ وقرأ حمزة والكسائى ووافقهم خلف العاشر (ثلاثمائةِ سنين) على الإضافة .. وجاء فى البحر : (وأنحى أبو حاتم على هذه القراءة ولا يجوز له ذلك)[2] وأبو حاتم هو أبو حاتم السجستانى سهل بن محمد إمام البصرة فى النحو واللغة توفى حوالى ٢٥٥هـ[3] .

قال تعالى : (. . .ولا يجرمنكم شنئان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام. . .) المائدة ٢ قرأ ابن كثير وأبو عمرو (إنْ) بكسر الهمزة والباقون (أن) ، أنكر قراءة المكى والبصرى، ابن جرير الطبرى ت٣١٠ وأبو جعفر النحاس ت٣٣٨ وفى البحر المحيط (وهذا الإنكار فمنهم لهذه القراءة صعب جداً فإنها قراءة متواترة والمعنى معها صحيح والتقدير إن وقع صد فى المستقبل مثل ذلك الصد الذى كان زمن الحديبية) [4] .

وهكذا ترى إن أحداً من القراء العشرة لم ينجُ من تلحين النحاة ، والأمثلة كثيرة وإنما ذكرت ما ذكرت على سبيل المثال لا الحصر ، وا   أعلم .

ومن الثوابت أيضاً أن القراءات ساهمت فى تطور النحو العربى ، وارتقت بالأسس التى بُنى عليها ، خاصة بعد أنْ ثبت المتواتر ، وتحققت شروط أركان

---

١ انظر البحر المحيط ج١٠ ص١٢٠ .

٢ البحر المحيط ج٧ ص١٦٤ .

٣ غاية النهاية ج١ ص٣٢٠ .

٤ البحر المحيط ج٤ ص١٦٩ .

القرآن الثلاثة وهى : موافقة وجهٍ من النحو ، وموافقة رسم المصحف العثمانى ولو احتمالاً ، و صحة السند .

والمتتبع لنقد النحويين وتلحينهم للقراءات يجد أن قبضة النحاة ترتخى جيلاً بعد جيل فمِن رد للقراءة إلى المهادنة إلى الانتصار للقراءة ، وهذا ما أفصلُه بإذن ا وعونه مختاراً أمثلة من قراءة حمزة ، وذلك بعد أن أتناول الأسباب التى حدت بالنحويين إلى نقد القراءات المتواترة وبا التوفيق وعليه التكلان إنه سميع مجيب .

الأسباب التى أدت إلى تلحين النحويين للقراءات [1] :-

[illegible] ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدة والعَشِى... ﴾ الأنعام ٥٢ ، وفى الكهف ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدة والعشى.. ﴾ الكهف ٢٨ ، قرأ ابن عامر (بالغُدوة) والجمهور (بالغدة) .

قال ابن حيان (ولما خفيت هذه اللغة على أبى عبيد أساء الظن بمن قرأ هذه القراءة)، وقال قبل ذلك (وحكى سيبويه والخليل أنّ بعضهم يُنَكِّرُها : رأيته غدوةً بالتنوين وعلى هذه اللغة قرأ ابن عامر ..) فقد علم بهذه اللغة سيبويه ت١٧٧ والخليل ابن أحمد الفراهيدى ت١٧٩ ، وغابت عن أبى عبيد القاسم بن سلام ت٢٢٤ ، ولم يدر أن القراءات قد جمعت بين اللغة الذائعة والتى أقل ذيعاً .. وفى ذلك يقول أبو عمرو الدانى ت٤٤٤ (وأئمة القراء لا تعمل فى شئ من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل

---

[1] وقد ذكرت بعضها متفرقة ولا بأس من جمع ما ذكرت وما لم أذكر .

والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فُشُو لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها) [1] .

وقد لا تبلغ القراءة النحوى فيردها .. ففى منجد المقرنين قال رجل لأبى عمرو [كيف تقرأ ﴿لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد﴾ فقال ﴿لا يعذِّب﴾ بالكسر، فقال الرجل كيف وقد جاء عن النبى ﷺ ﴿لا يعذَّب بالفتح﴾ . فقال له أبو عمرو : لو سمعت الرجل الذى قال سمعت النبى ﷺ ما أخذته عنه وتدرى ما ذاك لأنى أتهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به العامة ، قال الشيخ أبو الحسن السخاوى وقراءة الفتح أيضاً ثابتة بالتواتر ، قلت صدق لأنها قراءة الكسائى . قال السخاوى وقد تواتر الخبر عند قوم دون قوم ، وإنما أنكرها أبو عمرو لأنها لم تبلغه على وجه التواتر] [2] انتهى ، قلت وقراءة الفتح للذال والثاء هى قراءة الكسائى ووافقه يعقوب البصرى .

ومما أسلف [illegible] وقد مُنى الشعر العربى بنكسة حقيقية بعد الإسلام لأن العرب تشاغلت عنه بالوحيين ثم بالفتوحات وعن ذلك يحدثنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى ا عنه كما فى مزهر السيوطى : (قال عمر بن الخطاب رضى ا عنه : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته، فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح ، واطمأن العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر فلم يئلوا [3] إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ،

---

١ النشر ج١ ص(١٠ – ١١) .

٢ منجد المقرنين ص٦٨ .

٣ لم يئلوا : لم يرجعوا .

وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظ أقل ذلك ، وذهب عنهم كثير ..) [1] .

قال أبو عمرو بن العلاء (ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير) [2] .

[illegible] .. ففى خصائص ابن جنى (إنما دخل هذا النحو فى كلامهم لأنهم ليس لهم أصول يراجعونها ولا قوانين يعتصمون بها ، وإنما تَهجُم طباعهم على ما ينطقون به فربما استهواهم الشئ فزاغوا عن القصد) .. ثم استشهد بهذين البيتين :

غدا مالك يرمى نسـائى كأنـما	نسائى لسهمَىْ مالك غرضان
فيارب فاترك لى جهينة أعصُراً	فمالك موتٍ بالقضـاء دهانى

ثم قال ابن جنى : (هذا رجل مات نساؤه شيئاً فشيئا فتظلم من ملك الموت عليه السلام، وحقيقة لفظه غلط وفساد . وذلك أنّ هذا الإعرابى لما سمعهم يقولون مَلك الموت ، وكثر ذلك فى الكلام سبق إليه أن هذه اللفظة مركبة من ظاهر لفظها فصارت عنده كأنها فَعَل، لأن مَلَكاً فى اللفظ على صورة فَلَك فبنى منها فاعلاً فقال (مالِك موت) و(غدا مالك) فصار فى ظاهر لفظه كأنه فاعل ، وإنما مالك هنا على الحقيقة والتحصيل مافِل كماأن مَلَكاً على التحقيق مَفَل[3] وأصله مَلْأك فألزمت همزته التحقيق فصار ملكاً واللام فيه فاء والهمزة عين والكاف لام.

---

١ المزهر فى علوم اللغة ج١ ص(٤٧٣ – ٤٧٤) .

٢ المزهر ج٢ ص٤٧٤ .

٣ الخصائص ج٣ ص (٢٧٣ – ٢٧٤) .

وقد أفرد ابن جنى فى الخصائص باباً سماه (باب فى أغلاط العرب) وقال فى نهاية هذا الباب (وهذا باب فى غاية السعة ، وتقصيه يذهب بنا كل مذهب وإنما ذكرت طريقه وسمته لتأتم بذلك..)[1] وهو القائل : (كان الأصمعى يعيب الحطيئة ويتعقبه فقيل له فى ذلك فقال: وجدت شعره كله جيداً فدلنى أنه كان يصنعه ، وليس هكذا الشاعر المطبوع إنما الشاعر المطبوع الذى يرمى بالكلام على عواهنه جيده على رديئه) .

pJPl J! يس‡! الƪƴƥ مǅ الوƮU ونسبته إلى غير أهله ، فقد كانوا يصنعون الشعر وينسبونه إلى فحول الشعراء . وعن ذلك يحدثنا بسنده الإمام السيوطى فى المزهر عن حماد[2] الراوية : (حدثنى من أثق به أنه كان عند حماد حتى جاء إعرابى ، فأنشده قصيدة لم تعرف ، ولم يدر لمن هى ، فقال حماد اكتبوها ، فلما كتبوها ، وقام الإعرابى قال لمن ترون أن نجعلها فقالوا أقوالاً ، فقال حماد اجعلوها لطرفة) [3] .

ويحدثنا السيوطى أيضاً عن خلف بن حيان [4] : (لم ير أحد أعلم بالشعر والشعراء منه وكان يضرب به المثل فى عمل الشعر .. ثم نسك فكان يختم القرآن فى كل يوم وليلة .. فلما نسك خرج إلى أهل الكوفة فعرفهم الأشعار التى أدخلها فى أشعار الناس فقالوا له : أنت كنت عندنا فى ذلك الوقت أوثق منك الساعة فبقى ذلك فى دواوينهم إلى اليوم) [5] .

---

١ الخصائص ج٣ ص٢٨٢ .

٢ حماد الراوية : هو حماد بن هرمز الديلمى .

٣ المزهر ج٢ ص٤٠٦ .

٤ مولى أبى بردة ابن أبى موسى الأشعرى .

٥ المزهر ج٢ ص٤٠٣ .

والθnj ϥ5 يϢƠ∃ فǍ الإϒþƒ ويغيب عنه المعنى ، فينتقد القراءة ، ومن ذلك ما جاء فى كتاب دراسات لأسلوب القرآن العظيم لمحمد عبد الخالق عضيمة :

[أخطأ ابن قتيبة فى الإعراب ، ففسد المعنى نتيجة هذا الإعراب الخاطئ ثم جعل القراءة كفراً ولحناً لا تصح به الصلاة ، ولو استقام له الإعراب ما فسد المعنى ولا رتب عليه هذه النتائج :

أعرب ابن قتيبة المصدر المؤول فى قوله تعالى : ﴿ ولا يحزنك قولهم إنَّ العزة لله جميعاً ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ فلا يحزنك قولهم إنَّا نعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾] . على قراءة فتح همزة (إن) [1] مفعولاً للقول على تأويله بالظن ، ففسد المعنى ، فجعل ذلك لحناً ، ولو أعرب المصدر المؤول على حذف لام العلة ما فسد المعنى ، ثم لو اتبع إعراب قتيبة فى قراءة كسر الهمزة بأن تجعل الجملة مفعولاً للقول لكان فاسداً أيضاً [2] .

ثم أورد كلام ابن قتيبة بنصه كما هو فى تأويل المشكل :

[ولو أن قارئاً قرأ (فلا يحزنك قولهم إنَّا نعلم ما يسرون وما يعلنون) وترك طريق الإبتداء بإنا وأعمل القول فيها بالنصب على مذهب من ينصب (أن) بالقول كما ينصبها بالظن لقلب المعنى عن جهته وأزاله عن طريقه . وجعل النبى عليه السلام محزوناً لقولهم : إن ا يعلم ما يسرون وما يعلنون . وهذا كفر ممن تعَمده وضرب من اللحن لا تجوز الصلاة به ولا يجوز للمأمومين أن يتجوزوا فيه] [3] .

---

١ الآية الأولى من سورة يونس عليه السلام آية ٦٥ ، والآية الثانية من سورة يس ﷺ آية ٧٦.

٢ دراسات لأسلوب القرآن الكريم ج١ ص٢٩ .

٣ المصدر السابق ص٢٩ ، تأويل المشكل ص(١٤ – ١٥) .

ثم أورد الشيخ غضيمة قول ابن خالويه :[﴿فلا تحزنك قولهم إنَّ العزة لله جميعاً﴾] بفتح الهمزة ، أبو حيوة [1]، قال ابن قتيبة : من فتح همزة (إن) هاهنا فقد كفر .. وله وجه عندى، ذهب عن ابن قتيبة ، بنصب (أن) بتقديرفعل غير القول والتأويل : ولا يحزنك قولهم إنكارهم أن العزة] [2] .

وq5 Ú يساوtY ƒ الǆθوǹj جميل Ū الǓوRlǅ فينتقد القراءة .. ومن ذلك ما جاء فى كلمة (جبريل) فيها أربع لغات متواترة ، وتسع لغات غير متواترة : جَبريل بفتح الجيم وهى قراءة ابن كثير ، وقرأ شعبة كالمكى ولكنه يقرأ بالهمز جَبرئل ، وقرأ حمزة والكسائى كشعبة ولكن بياء بعد الهمزة جبرئيل ، وقرأ باقى العشرة مثل ابن كثير ولكن بكسر الجيم جِبريل ، فهذه أربع لغات متواترة ، ثم ذكر أبو حيان اللغات التسع المتبقية ومنها جبرائيل وجبراييل ، وجبرال وجبرين ..

وقد ذكر أبو حيان الأندلسى قراءة الجمهور بكسر الجيم ، ثم ذكر قراءة ابن كثير بفتح الجيم قائلاً (وكذلك إلا أنّ الجيم مفتوحة وبها قرأ الحسن وابن كثير وابن محيص ، قال الفراء لا أحبها لأنه ليس فى الكلام فعليل ، وما قاله ليس بشئ لأن ما أدخلته العرب فى كلامها على قسمين ، منه ما تلحقه بأبنية كلامها كلجام ومنها ما لا تلحقه بها كإبريم فجبريل بفتح الجيم من هذا القبيل) وكان أبو حيان قد قال عن اسم جبريل (وقد تصرفت فيه العرب على عادتها فى تغيير الأسماء الأعجمية حتى بلغت فيه إلى ثلاث عشرة لغة) [3] .

---

١ وقراءة كسر الهمز (إن) هى قراءة القراء العشرة ، وقرأ شريح ابن يزيد أبو حيـوة الحـضرمى بفـتح الهمزة وهى قراءة شاذة ت ٢٠٣ .

٢ دراسات لأسلوب القرآن الكريم ج١ ص٢٩ .

٣ البحر المحيط ج١ ص(٥٠٩ – ٥١٠) .

ومن أسباب تجنى النحويين على القراءات قصور ضوابطهم التى يستخدمونها ، وتلك ظاهرة ملازمة لكل عمل يعيش مرحلة التطور والنمو ومن ذلك قراءة ابن عامر الشامى ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ الأنعام ١٣٧ وقرأ التسعة الآخرون ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ ، فقد منع البصريون فصل المصدر المضاف عن المضاف إليه بالمفعول به أى يمنعون الفصل بين (قتلُ) و (شركائِهم) بـ (أولادَهم) .

وهذا المنع من قبل النحويين البصريين يعود إلى عاملين آخرين من عوامل تلحين النحويين للقراءة المتواترة وهما : التعصب للمذهب ويظهر ذلك فيما يلى :

قراءة الجمهور لا اعتراض عليها بل هى تحظى بضابط (الإجماع) وهو أحد الضوابط الثلاثة التى بُنى عليها علم النحو ثم أتى القرآن بقراءة أخرى قدر لها ا أسباب القبول ، ومن هذه الأسباب :

- إرضاء النحويين بإسناد قراءة الإجماع تسعة من القراء المتواترة قراءتهم .
- وجود كلمة (شركائهم) بالياء فى مصحف الشام ، والرسم أحد أركان القرآن .
- وجود كثير من الشواهد الشعرية التى تؤيد قراءة ابن عامر ومنها :

فزججته بمزجة زج القلوصَ أبى مزاده [1]

(أى زج أبى مزادة القلوص)

---

[1] الزج : الطعن ، المزجة : الرمح القصير لأنه آلة الزج ، القلوص : الناقة الشابة يريد طعن الناقة برمح قصير كما يطعن أبو مزادة القلوص فى السير .

القارئ الذى قرأ بها هو ابن عامر الشامى ت١١٨هـ ، وهو عربى صريح نطق بالعربية قبل دخول اللحن وفساد اللسان ، وقد قرأ ابن عامر على أبى الدرداء عمير بن زيد ابن قيس الصحابى الجليل رضى ا عنه ت٣٢ ، قرأ أبو الدرداء على أمير المؤمنين عثمان بن عفان فاجتمع لقراءة ابن عامر التواتر إذ أخذ مباشرة من الصحابى الذى بعث مع مصحف الشام ليعلم الناس ما بين دفتى ذلك المصحف ألا هو الصحابى الجليل أبو الدرداء ، وليس مصادفة أن يأخذ أبو الدرداء من عثمان رضى ا عنه ، كما ليس مصادفة أن يأخذ ابن عامر من أبى الدرداء ليكون بينه وبين الرسول ﷺ قارئان هما أبو الدرداء وعثمان رضى ا عنهما أكرم بهما وأنعم . ومع ذلك ينكر البصريون القراءة تعصباً لقواعدهم ، وانقياداً لهوى مذهبهم .

والعامل الثانى هو : ظن النحويين أن القراءة اختيار واجتهاد من القارئ ، ولم يوفقوا إلى أنّ القارئ اختار قراءته من المتواتر وأنه شخص موثوق فى دينه وأمانته العلمية، وأنه ما قرأ حرفاً إلا بأثر ورحم ا أبا عمرو البصرى إذ يقول (ولولا أن ليس لى أن أقرأ إلا بما قرئ لقرأت كذا وكذا وكذا وذكر حروفاً) [1].

وقد اعترض الزمخشرى فى كشافه على قراءة ابن عامر اعتراضاً سمجاً قبيحاً سأعود إليه إن شاء ا ولكنى أكتفى بقوله : (ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء لأن الأولاد شركاؤهم فى أموالهم لوجد فى ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب) [2] .

ألا ترى عدم ركونه للتلقى ، والتلقى حجة القرآن ، تلقى جبريل الروح الأمين من العليم الحكيم ، وتلقى الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ وعلى أهله وأصحابه

١ غاية النهاية ج١ ص٢٩٠ .

٢ الكشاف ج٢ ص٧٠ .

أجمعين ، من الروح الأمين ، وتلقى منه صحابته الأخيار ومنهم تلقى التابعون الأبرار ويظل التلقى إلى يوم الدين بمشيئة الحافظ للكتاب المبين .

ثم يأتى الزمخشرى وأمثاله تعصباً لمذهب نحوى فيقول (ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء) كلا وا لم يقرأ ولا ينبغى له أن يقرأ بمثل ذلك وهو التقى الأمين وهل تجرأ أو يتجرأ أحد بالاتيان بالزيادة أو النقصان فى كلام ا ، والحمد القائل ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ فصلت٤٢ .

و درك أبا حيان الأندلسى وأنت ترد فى بحرك المحيط على قول الزمخشرى فتقول : (وأعجب لعجمى ضعيف فى النحو يرد على عربى صريح محض قراءة متواترة موجودة نظيرها فى لسان العرب فى غير ما بّيت ، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب ا شرقاً وغرباً ، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم وضبطهم ومعرفتهم وديانتهم) [1] .

ومن أسباب تجنى النحويين ، عدم إلمامهم بجميع علوم القرآن الكريم ومنها علم الوقف والابتداء ، ولقد سئل على رضى ا عنه عن التجويد فقال (ترتيل الحروف ومعرفة الوقوف) ، قرأ الإمام حمزة ﴿واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحامِ إنّ الله كان عليكم رقيبا﴾ النساء١ أى بخفض الميم وقرأ التسعة الباقون بنصب الميم .. وعند سيبويه فى الكتاب ت١٨٠ ومكى فى الكشف ت٤٣٧ والزمخشرى فى الكشاف ت٥٣٨ والعكبرى فى الإملاء ت ٦١٦ [2] . عندهم لا يجوز العطف إلا بإعادة حرف الجر أى (به وبالأرحام) ، وأعود إليها إن شاء ا ، واكتفى فى هذا الموضع

---

١ البحر المحيط ج٤ ص٦٥٨ .

٢ الكتاب ج٢ ص٣٨١ ، والكشف ج١ ص٣٧٥ ، والكشّاف ج١ ص٤٦٢ ، والإملاء ص١٧٢ .

بعلم الوقوف على كلم القرآن ، فللآية وجه يغنى عن خلافات النحويين ونحوهم ..
حيث الوقف على : (به) تام ، ثم تستأنف : (والأرحامِ) على القسم ، فقد أقسم ا
بالأرحام معظماً لشأنها ، ومذكراً لهم بتعظيمهم للأرحام وهم فى جاهليتهم حيث
كانوا يقولون (أسألك با والرحِم) فالأرحام أولى بالتعظيم فى الإسلام ، وا يقسم
بما يشاء ولا نقسم إلا به ، إنه فعال لما يريد .

وفĂ المĂƶƚا Ăفي ƹ5الو واÚƓƚƙا Jƚƙا Ăďž : [وüƖ5 يƴĂوƒ واÜƙƣƶ Σ ويþوnj DžƳ
اƟسƵDž: (ƚساƅƱوDž ƓƝ) ƚا! Û ƙ! يƓƚƙƿ : (واÜþƟƖƆ) ƓمƴďĂ وƳƚا! ÜþƟƖ! فƬƚوljƖ] Č.

---

١ يعقوب : يعقوب بن اسحق الحضرمى أحد القراء العشرة ت٢٠٥ ، والأخفش : سعيد بن مسعدة وهو الأخفش الأوسط ت٢١١ ، والحسن : الحسن بن يسار البصرى ت١١٠ ، انظر المكتفى للدانى ص٢١٧ .

المطلب الخامس : هيمنة القراءات المتواترة وإسهامها فى تطور علم النحو :-

فقد ذكرت أحد عشر سبباً حدت بالنحويين إلى رد بعض القراءات وتلحينها، والرأى عندى أنّ تلحينهم للقراءات هو ظاهرة صحّية ، وتدرج وارتقاء نحو الأقوم والأفضل وذلك من عدة وجوه :-

نزل القرآن الكريم بلغات العرب ، و غلبت عليه لغة قريش لأن لسانها أفضل اللسن، وتخيرت من لغة كل قبيلة أفضلها فتكلمت به ، وهيأ لها ا العليم القدير الاحتكاك بالقبائل الأخرى عن طريق رحلتى الشتاء والصيف لليمن والشام ، وعن طريق قدوم القبائل لمكة لحج بيت ا الحرام فنمت لغتها وسمت وتهيأت لنزول القرآن بها ... وكان لابد للقرشيين أن يبحثوا عن معانى الكلمات التى نزل بها القرآن من غير لغة قريش سعياً نحو فهم عميق لكتاب ا .. فالتمسوا ذلك فى الشعر ديوان العرب ، وقد سبق بيان مسائل الأزرق وردود ابن عباس رضى ا عنه وعن والده ، كذلك نجد سيبويه فى (الكتاب) يستشهد بالشواهد الشعرية ضعف استشهاده بالشواهد القرآنية [1] ، وكذلك شأن المبرد فى كتابه المقتضب . فلما عُرف المتواتر والشاذ من القراءات صار الاعتماد على الشاهد من الذكر الحكيم أكثر من الاعتماد على بيت من الشعر .

ولم تكن جميع القراءات المتواترة رائجة فى أذهان العلماء فقد رأينا احتكام الصحابة للرسول ﷺ حينما يسمع أحدهم الآخر يقرأ برواية لم تبلغه ، فيجيز المصطفى ﷺ الروايتين فهو مبلغهما .. كذلك رأينا المفسرين ومنذ عهد الصحابة وحتى إلى حدود المائة الثالثة وهم يردون بعض القراءات وكذلك فعل النحويون ولم تبلغ الإمام الطبرى ت٣١٠ وهو القارئ والمفسر والنحوى قراءة ﴿وإن كان

---

١ تسعة عشر وأربعمائة شاهد من الشواهد القرآنية كما أحصاها محمد بازمول ، القراءات ج١ ص٢٥٣ ، وخمسون وألفاً من الشواهد الشعرية كما أحصاها أبو جعفر النحاس ، المرجع السابق .

مكرهم لَتزولُ منه الجبال﴾ سورة إبراهيم عليه السلام آية ٤٦ بفتح اللام الأولى ورفع اللام الثانية من الفعل وهى قراءة متواترة قرأ بها الإمام الكسائى ، قال الإمام الطبرى : (والصواب من القراءة عندنا قراءة من قرأ ﴿وإن كان مكرهم لِتزولَ منه الجبال﴾ بكسر اللام الأولى وفتح اللام الثانية بمعنى وما كان مكرهم تزول منه الجبال . وإنما قلنا ذلك هو الصواب ، لأن اللام الأولى إذا فتحت فمعنى الكلام وقد كان مكرهم تزول منه الجبال ولو كانت زالت لم تكن ثابتة . وفى ثبوتها على حالتها ما يبين عن أنها لم تزل . وأخرى إجماع الحجة من القراء على ذلك وفى ذلك كفاية عن الاستشهاد على صحتها وفساد غيرها بغيره . فإن ظن ظان أن ليس بإجماع من الحجة إذ كان من الصحابة والتابعين من قرأ ذلك . كذلك فإن الأمر بخلاف ما ظن فى ذلك . وذلك بأن الذين قرأوا ذلك بفتح اللام الأولى ورفع الثانية قرأوا وإن كاد مكرهم بالدال . وهى إذا قرئت كذلك فالصحيح من القراءة مع وإن كان كاد فتح اللام الأولى ورفع الثانية على ما قرؤا .

وغير جائز عندنا القراءة كذلك لأن مصاحفنا بخلاف ذلك وإنما خط مصاحفنا (وإن كان) بالنون لا بالدال وإذا كانت كذلك فغير جائز لأحد تغيير رسم مصاحف المسلمين . وإذا لم يجز ذلك لم يكن الصحاح من القراء إلا ما عليه قراء الأمصار دون من شذ بقراءته عنهم[1] .)

ونلاحظ ما يلى :-

قرأ التسعة عدا الكسائى : ﴿وإن كان مكرهم لِتزولَ منه الجبال﴾

وقرأ الكسائى : ﴿وإن كان مكرهم لَتزولُ منه الجبال﴾

---

١ جامع البيان المجلد السابع ص١٦٢ سورة ابراهيم عليه السلام .

وقرأ على بن أبى طالب ، وعبد ا بن مسعود رضى ا عنهما : ﴿وإن كاد مكرهم لتزول منه الجبال﴾ .

عن قراءة الجمهور قال ابن زنجلة فى حجته : [﴿وإن كان مكرهم لتزول﴾ بكسر اللام الأولى وفتح الأخيرة بمعنى (ما) واللام لام الجحود ، والمعنى : وما كان مكرهم ليزول به أمر النبى ﷺ وأمر الإسلام وثبوته كثبوت الجبال الراسيات لأن ا جل وعز وعد نبيه ﷺ إظهار دينه على الأديان كلها فقال ﴿ليظهره على الدين كله﴾ ودليل هذا قوله بعدها ﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾] .

وعن قراءة الإمام الكسائى قال ابن زنجلة [﴿وإن كان مكرهم لَتزولُ﴾ بفتح اللام الأولى وضم الثانية . اللام لام التوكيد وتزولُ رفع بالمضارعة ..] ثم ذكر قول الزجاج عن قراءة الكسائى : (معناه معنى حسن ، المعنى : وعند ا مكرهم وإن كان مكرهم يبلغ فى الكيد إزالة الجبال فإن ا جل وعز ينصر دينه ومكرهم عنده لا يخفى) وتدعم قراءة الكسائى قراءة ﴿وإن كاد﴾ وهى قراءة على وعبد ا رضى ا عنهما ولكنها مخالفة لرسم المصحف .

ويلاحظ :-

- على قراءة الجمهور المعنى : ما كان مكرهم ليزيل الجبال أى الرسول ﷺ والإسلام .
- وعلى قراءة الكسائى : مكرهم يزيل الجبال ، ولكن ﴿وعند الله مكرهم﴾ وفى ذلك عظيم التسلية لكل مؤمن فى كل أوان وزمان عامة وزماننا هذا خاصة.

- الإمام الطبرى مع وافر علمه وعظيم تمكنه من القراءات المتواترة والشاذة وإسنادها بسند قويم متصل بمنتهى السند ﷺ ، أقول رغم ذلك غابت عنه قراءة الإمام الكسائى ، وغاب عنه ربطها بقوله تعالى ﴿وعند الله مكرهم﴾ فمكرهم عظيم يزيل الجبال ، ولكنه لم يزلها لأن مكرهم عند ا .
- فلما استقر أمر القراءات وعرف متواترها تجرد العلماء المتأخرون إلى بيان الحجج التى تدعم القراءة المتواترة ، وكانوا أكثر ثقة وثباتاً من سابقيهم فقد عرف المتواتر والشاذ .

وكان الشعر ملاذ العرب ومرجعهم لوضع القواعد النحوية ، رغم ضياع أكثره وما دخل عليه من انتحال وما فى بعضه من خال فى الوزن وإغفال لقواعد النحو .. وهاهو أحدهم [1] لا يخفى تبرمه بالنحويين فيهجوهم قائلاً :-

ماذا لقينا من المستعربين ومـن	قياس نحـوهم هذا الذى ابتدعـوا
إن قلت قافيةً بكْراً يكـون بهـا	بيتٌ خلاف الذى قاسوه أو ذرعوا
قالوا لحنت وهذا ليـس منتصـباً	وذاك خفض وهذا ليـس يرتفـع
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقـهم	وبين قوم على إعرابـهم طُبعـوا
ما كل قولى مشروحاً لكم فخذوا	ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعـوا
لأن أرضى أرض لا تُشَب بهـا	نارُ المجـوس ولا تبنى بها البِيَعُ

١ أكثر ما ينسب هذا الشعر النابغة فقد قيل فى دالتيه المجرورة :

أمن آل مية رائح أو مغتد عجلان ذا زاد وغير مزودِ

وقد جاء فيها : وبذاك خبرنا الغراب الأسحم ، ثم استدرك بقوله : وبذاك تَنْعَابُ الغرابِ الأسودِ

كذلك اللغة العربية جمعت ما لا يحصى من الكلمات وتعددت معانيها التى لا يعلمها ولا يحصيها إلا العالِم الخبير ثم عبده ورسوله محمد البشير النذير ، لذلك عجز الشعراء من معرفة جميع مضامين اللغة العربية ، وعجز المفسرون والنحويون والعلماء قاطبة من استيعاب جميع القراءات القرآنية فما تواتر عندهم قبلوه وما لم يبلغهم تواتره ، كان عرضة لنقدهم .. وقد اعتمدوا فى وضع قواعدهم النحوية على الشعر وذلك لسببين :-

الشعر ديوان العرب لجأ إليه الصحابة منذ عهد الرسول ﷺ ثم فى صدر الإسلام ليستنبطوا منه معانى ما خفى عليهم من كلام القرآن العظيم .

لم تبلغ جميع القراءات المتواترة والشاذة المفسرين والنحويين ، ولم يميزوا المتواتر من الشاذ ، فسلكوا المسلك السهل ، واعتمدوا على الشعر .. ألا ترى أن سيبويه فى كتابه ت١٨٠ وابن خالويه فى حجته ت٣٧٠ والزمخشرى فى كشافه ت٥٢٨ لم ينسبوا القراءات التى تعرضوا لها إلى قرائها واكتفوا ببيان أوجه النحو .

ولما وضع ابن مجاهد كتابه السبعة وعرف الناس المتواتر من القراءات ثم وضع العلماء الضوابط الثلاثة التى حصرت القراءات فى المتواتر واشترطوا صحة السند، وموافقة وجه من أوجه النحو ، وموافقة الرسم العثمانى لقبول القراءة القرآنية ، رسخت القراءات وحلت محل الشعر واعتمد عليها الفقهاء فى مسائلهم الفقهية ، والمفسرون فى تفسيرهم وتأويلهم والنحاة فى تطوير قواعدهم النحوية .. وكان لابد من ذلك ، ورحم ا الإمام ابن حزم [١] اذ يقول :-

(ولا عَجَبَ أعجبُ ممن وجد بيتاً لإمرئ القيس أو لزهير أو لجرير أو الحطيئة أو الطرماح أو لعربى أسدى أو أسلمى أو تميمى أو من سائر أبناء العرب بوَّال على

---

١ على بن أحمد بن سعد الأندلسى من أئمة الاسلام ت ٤٥٦ ، الاعلام ج٤ ص٢٥٤ .

عقبيه ، لفظاً فى شعر أو نثر ، جعله فى اللغة وقطع به ولم يعترض فيه ... ثم إذا وجد لله تعالى خالق اللغات وأهلها كلاماً لم يلتفت إليه .. ولا جعله حجة ، وجعل يصرِّفه عن وجهه ويحرِّفه عن مواضعه ، ويتخيل فى إحالته عمًّا أوقعه الله عليه ، وإذا وجد لرسول الله كلاماً فعل به مثل ذلك)[1] .

وفى القرن الرابع الهجرى استقر أمر المتواتر من القراءات وعُرف وأجمعت عليه الأمة ، وعن ذلك الإجماع يقول الإمام السخاوى ت٦٤٣ (واعلم أن أئمة الدين وعلماء المسلمين أجمعوا على قراءة السبعة حين اعتبروا قراءتهم ، وتدبروا روايتهم ، وعلموا ثقتهم وعدالتهم) [2] .

وارتخت قبضة المقاييس النحوية وبدأ علماء النحو يبحثون شيئاً فشيئاً عـن الضوابط النحوية من خلال شواهد القراءات المتواترة ويأتمون بـالقرآن وشـواهده ومن ذلك فقد دفع البصريون والكوفيون بعدم جواز فصل المضاف من المضاف إليه فى النثر وأجازوا ذلك فى الشعر شريطة أن يكون الفاصل ظرفاً .

ذهب إلى ذلك سيبويه فى الكتاب ت١٨٠ والفراء فى معانى الفراء ت٢٠٧، وابن خالويه فى الحجة ت٣٧٠هـ ، ومكى فى الكشف ت٤٣٧هـ ، والزمخـشرى فى الكشاف ت٥٢٨هـ [3] وأجاز الفصل ابن مالك الإمام المقـرئ النحـوى العـالم

---

١ الفِصَل فى الملل والأهواء والنّحل ج٣ ص١٩٢ ، امرء القيس ت فى حدود ١٣٠ – ١٨٠ قبل الهجرة ، وزهير ابن أبى سلمى ت١٣ قبل الهجرة ، وجرير بن عطية من تميم ت١١٠ ، والحطيئـة هـو جـرول العبسى مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام واشتهر بالهجاء والطرماح بن حكيم من طئ ت١٢٥هـ انظـر الأعلام الجزء الثانى والثالث .

٢ جمال القراء ج٢ ص٦٢٤ .

٣ الكتاب ج١ ص ١٧٦ ، ومعانى الفراء ج١ ص٣٥٧ ، وحجة ابن خالويه ص(١٥٠ – ١٥١) ، والكشف لمكى ج١ ص(٤٥٣ – ٤٥٤) وكشاف الزمخشرى ج٢ ص (٦٩ – ٧٠) .

بالعربية صاحب الألفية ، والمنظومتين الدالية واللامية فى علم القراءات ت٦٧٢ [١] ، وكذلك أبو حيان صاحب البحر المحيط ت٧٥٤ ، وأجاز ونظم ابن مالك جواز فصل المضاف والمضاف إليه بالمفعول أو بالظرف بينما الأقدمون لم يجيزوا الفـصل إلا بالظرف وفى الشعر فقط ، قال ابن مالك فى ألفيته :-

فصل مضاف شبه فعل ما نصب مفعولاً أو ظرفاً ، أجز ولم يُعَبْ

بل ذهب ابن مالك رحمه ا إلى أبعد من ذلك معلماً النحاة أن الشاهد مـن الكتاب العزيز يجب أن يكون العمدة والموئل للقواعد النحوية .. قال ابن مالك الذى انتصر للفصل بين المتضايفين بالمفعول :

وعمدتى قراءة ابن عامر فكم لها من عاضد وناصر [٢]

ومن ذلك أيضاً كلمة ﴿بارئكم﴾ من قوله تعالى ﴿ فتوبوا إلى بارئكم﴾ البقرة ٥٤ ، قرأ أبو عمرو من روايتى الدورى والـسوسى بإسـكان الهمـزة وزاد الشاطبى وجه اختلاس الهمزة للدورى وهو من قراءة الدانى على أبى الحسن ابـن غلبون ، والمقدم قراءة الإسكان فهو طريق التيسير من رواية الدورى على الفارسى عن أبى طاهر والاختلاس هو مذهب سيبويه ت١٨٠ وقد أنكـر ابـن جنـى فـى الخصائص ت٣٩٢ قراءة الإسكان ، ولكن مكانة سـيبويه وزعامـة أبـى عمـرو البصرى جعلتا ابن جنى ينسب الخطأ الذى توهمه للقُراء ويتهمهم بأنهم سمعوا أبـا عمرو يختلس كسرة الراء فتوهموا أنه يسكن الراء .. عجبـاً..؟! وإليـك قولـه : (﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾ مختلساً ، غير ممكن كسرة الهمزة حتى دعا ذلك من لَطفَ عليه تحصيل اللفظ ، إلى أن ادعى إن أبا عمرو كان يُسَكن الهمزة ، والـذى رواه

---

١ انظر غاية النهاية ج٢ ص(١٨٠ – ١٨١) .

٢ انظر منجد المقرئين لابن الجزرى ص٦٥ .

صاحب الكتاب ، اختلاس هذه الحركة ، لا حذفها البتة ، وهو أضبط لهذا الـ DžØـ ṗاـŬ
3ـيṗǈ مـDž القǎṗlb llPـيDž ṗووǈ ساالǆ Û ولا! يـD I القو! PJṗ مـDž ƮٻƸ أماǆhu ولاǅ Dž أوǏا مـDž
. [c] ƮٻƸ ṗqاـhu)

قلت : أخطأ ابن جنى وقصرت قامته أمام قـامتى سـيبويه وأبـى عمـرو والبصرى ، فمذهب سيبويه الاختلاس ، وأبو عمرو سكّن الهمزة ، فادعى ابن جنى أن أبا عمرو اختلس وأنّ القراء أخطؤا السمع وظنوا اختلاس أبى عمرو إسـكاناً . وأخطأ ثانية حينما ظن أن سيبويه أضبط للقراءة من القراء !

كل ذلك من أجل تعصب أعمى لنحوى ، ولقاعدة نحوية .. وقد أسكن أبـو عمرو الراء من (يأمركم ، ويأمرهم ، وينصركم ، ويشعركم) فهل أخطأ القراء فـى سماع وتلقى جميع هذه الكلمات ؟! ، علماً بأن اختلاس ضمة الراء ورد عـن أبـى عمرو من غير طريق التيسير قال الدانى فى تيسيره : [أبو عمـرو (بـارئكم) فـى الحرفين و(يأمركم) ، (ويأمرهم) ، و(ينصركم) ، و(يشعركم) باختلاس الحركة فـى ذلك كله من طريق البغدادين ، وهو اختيار سيبويه ، ومن طريق الرقيين [2] وغيرهم بالإسكان ، وهو المروى عن أبى عمرو دون غيره وبذلك قرأت على الفارسى على قراءته على أبى طاهر] .

ويلاحظ أن الدانى ذكر مذهب سيبويه ، ولم يأخذ به وأخذ بالإسكان وقـال عنه (وهو المروى عن أبى عمرو دون غيره وبـذلك قـرأت) ، فـالتلقى حجـة ، والقارئ أضبط للقراءة من النحوى ، وكل قارئ متلقى لابد له من أن ينهج ويقـول كما قال الدانى (بالإسكان قرأت وبه آخذ) ومن تلقـى الاخـتلاس متـواتراً يقـول (بالاختلاس قرأت وبه آخذ) والقراءة المتواترة تعلو ولا يُعلى عليها .

---

١ الخصائص ج١ ص (٧٢ – ٧٣) .

٢ الرقيين : العراقيين انظر التيسير ص٧٣.

“ĺlѲþŬlو” Ɣblþ5

ونعود إلى الإمام حمزة لنرى كيف تطور النحو وضوابطه مـن خـلال رد النحاة الأقدمين لبعض قراءاته ثم استقر الأمر بقبولها والانتصار لها :-

- قـال تعـالى : ﴿ واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ .

- الجمهور بفتح الميم وحمزة بكسرها (الأرحامِ) أى أنه عطف الأرحام علـى الهاء من (به) من غير إن يعيد الخافض أى لم يقرأ (وبالأرحام) .

- من آراء النحاة تباعاً وفق تاريخ وفاتهم بصريهم وكوفيهم :-

سيبويه ت١٨٠ : يرى عدم جواز العطف إلا بحرف الجر [١] ووافقه على ذلك :

الفراء : ت٢٠٧.. وقال (وفيه قبح لأن العرب لا ترد مخفوضاً على مخفوض) وقال (وإنما يجوز ذلك فى الشعر لضيقه) [٢] .

مكى: ت٤٧٣هـ.. قال (وهو قبيح عند البصريين ، قليل فى الاستعمال ، بعيد فـى القياس)[٣]

الزمخشرى : ت٥٣٨ .. قال (والجر على عطف الظاهر علـى المـضمر ولـيس بسديد ..)[٤]

---

١ الكتاب ج٢ ص٣٨١ .

٢ معانى الفراء ج١ ص٢٥٢ .

٣ الكشف ج١ ص٣٧٥ .

٤ الكشاف ج١ ص٤٦٢ .

العكبرى : ت٦١٦ .. قال (وهذا لا يجوز عند البصريين ، وإنما جاء فـى الـشعر على قبحه، وأجازه الكوفيون على ضعف)

وانتصر لقراءة العطف من غير إعادة حرف الجر :-

ابن جنى : ت٣٩٢ ومما قال (.. وقولك للقادم من حجه : مبرور مأجور أى أنـت مبرور مأجور .. وكذلك قولهم :

رَسْمِ دار وقفت فى طلله كدتُ أقضى الغداة من جلله [1]

أى رب رسم دار . وكان رؤبة إذا قيل له كيف أصبحت ؟ يقـول : خيـرٍ عافاك ا . أى بخيرٍ يحذف الباء لدلاله الحال عليها بجرى العادة والعـرف بهـا ، وكذلك قولهم : الذى ضربتُ زيد ، تريد الهاء وتحذفها لأن فى الموضع دليلاً عليها.

وعلى نحو من هذا تتوجه قراءة حمزة وهى قوله سبحانه ﴿واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحامِ﴾ ، ثم يقول ابن جنى ت٣٩٢ إن لحمزة أن يقول (إننـى لـم أحمل الأرحام على العطف على المجرور المضمر بل اعتقدت أن تكون فيـه بـاء ثانيه حتى قلت (وبالأرحام) ثم حذفت الباء لتقدم ذكرها ، كما حذفت لتقدم ذكرها فى نحو قولك : بمن تَمْرُرْ أَمرُرْ وعلى مَن تنزلْ أنزل ولم تقل أمرْر به وأنـزل عليـه لكن حذفت الحرفين لتقدم ذكرهما) [2].

وكذلك أيد قراءة الخفض ابن مالك ت٦٧٢هـ فى شرح العمدة وأبو حيـان ت٧٤٥ فى البحر المحيط ، فقد دافع عن قراءة الخفض عند قوله تعـالى ﴿يسئلونك

---

١ البيت لجميل بن عبد ا بن معمر المشهور بـ(جميل بثينة).

٢ الخصائص ج١ ص(٢٨٥ – ٢٨٦) بتصرف .

عن الشهر الحرام قتال فيه . قل قتال فيه كبير . وصد عن سبيل الله وكفر به ﴾ البقرة ٢١٧ ، ثم جاء للعطف على المضمر المجرور بثلاثة مذاهب :-

١- لايجوز ألا بإعادة الجار إلا فى الضرورة فإنه يجوز بغير إعادة الجار.

٢- يجوز ذلك فى الكلام مطلقاً .

٣- يجوز فى الكلام إذا أكد الضمير مثل مررت بك نفسك وزيد.

ثم قال أبو حيان [والذى نختاره أنه يجوز ذلك فى الكلام مطلقاً لأنّ السماع يعضده والقياس يقويه أما السماع فما روى من قول العرب : ما فيها غيره وفرسِهِ ، بجر الفرس عطفاً على الضمير فى غيره والتقدير ، مافيها غيره وغيـر فرسِـه ، والقراءة الثانية فى السبعة ﴿تساءلون به والأرحامِ﴾ أى وبالأرحام وتأويلهـا علـى غير العطف على الضمير مما يخرج الكلام عن الفصاحة فلا يلتفت إلى التأويل) [1].

ثم ذكر أبو حيان من قرأ بخفض الأرحام فذكر : ابن عبـاس رضـى ا عنهما ت٦٨هـ والحسن البصرى ت ١١٠هـ ومجاهد بن جبر ت١٠٣هـ وقتادة السدوسى ت١١٧هـ وإبراهيم النخعى ت٩٦هـ ويحي بن وثاب ت١٠٣هـ وأبـو زين الكوفى [2] ، ثم قال أبو حيان :(ومن أدعى اللحن فيها أو الغلط على حمزة فقـد

---

١ قيل معطوف على (سبيل ا) ورد لأن فيه فصل بين الصلة والموصول وقيل معطـوف علـى الـشهر الحرام ورد بأنهم سألوا عن القتال فى الشهر الحرام لا عن الشهر الحرام ، وقيل معطوف على الضمير فى قوله تعالى (وكفر به) أى بالمسجد الحرام ، ويمنع ذلك البصريون إلا بإعادة الجار. وإلى العطف مع عـدم إعادة الخافض ذهب ابن مالك وأبو حيان وابن جنى ولم يأخذوا برأى البصريين وهم علـى صـواب وا أعلم .

٢ مسعود بن مالك روى عن ابن مسعود وعلى رضى ا عنهما وروى عنه الأعمش شيخ حمـزة غايـة النهاية ج٢ ص٢٩٦ .

كذب) ثم استشهد بتسعة شواهد من أشعار العرب ومنها بيت استشهد بـه سـيبويه الرافض للعطف على المضمر من غير إعادة الخافض :

فاليوم قد بت تهجونا وتشتمنا   فاذهب فما بك والأيامِ من عجب [1]

وقد استشهد الإمام القرطبى ت٦٧١ بتسعة شواهد من الشعر جـرى فيهـا الخفض من غير إعادة الخافض منها أربعة شواهد من التى استشهد بها أبو حيان ، فتبلغ شواهدهما معاً اثنا عشر شاهداً منها :-

بنا أبداً لا غيرنا يدرك المُـنى   وتُكشف غَماءُ الخـطوب الفوادح

إذا أوقدوا ناراً لحرب عدوهم   فقد خاب من يصلى بها وسعيرها

أكر على الكتيـ ـ ـبة لا أبالى   أحـ ـتفى كان فـ ـيها أم سواها

ثم قال أبو حيان (فأنت ترى هذا السماع وكثرته) [2]

ثم قال [وإن كان الأكثر أن يعاد الجـار كقولـه تعالى ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾ ، ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً﴾ ، ﴿قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب﴾ [3] .

ثم ذكر أبو حيان مواطن فى القرآن الكريم جاء فيها العطف من غير إعادة الجار ، وذلك فى قوله تعالى ﴿لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين﴾ الحجـر ٢٠

---

١ انظر البحر المحيط ج٢ ص(٣٨٧ – ٣٨٨) .

٢ البحر المحيط ج٢ ص (٣٨٧ – ٣٨٨) والجامع لأحكام القرآن المجلد الثانى ص (٥ – ٦) .

٣ السور والآيات على التوالى : المؤمنون ٢٢، فصلت ١١ ، الأنعام ٦٤ .

أى (ولمن) ، وقوله تعالى ﴿ قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء . . ﴾ النساء ١٢٧ ، أى (وفيما يتلى عليكم) .

وكان قد ذكر فى سورة البقرة صحة قراءة حمزة (والأرحامِ) من حيث القياس فقال (فأما القياس فهو أنّه كما يجوز أن يبدل منه ويؤكد من غير إعادة الجار كذلك يجوز أن يعطف عليه من غير إعادة الجار) ، ثم رد قول البصريين من أن الضمير كالتنوين ولا يجوز العطف عليه إلا مع الإعادة لأن التنوين لا يعطف عليه بوجه[1] .

ثم قال فى سورة النساء عن ابن عطية ت٥٤٦ الذى رد قراءة الأرحام بالجر (فجسارة قبيحة منه لا تليق بحاله ولا بطهارة لسانه ، إذ عمد إلى قراءة متواترة عن الرسول ﷺ قرأ بها سلف الأمة ، واتصلت بأكابر قراء الصحابة الذين تلقوا القرآن من فى رسول الله ﷺ بغير واسطة عثمان وعلى وابن مسعود وزيد بن ثابت ، وأقرأ الصحابة أبى بن كعب . عمد إلى ردها بشئ خطر فى ذهنه ، وجسارته هذه لا تليق إلا بالمعتزلة كالزمخشرى ..) ثم أثنى على حمزة كثيراً وذكر عن قراءته وتواترها وورعه وتقواه ومكانته العلمية ما سبق بيانه [2].

ثم قال أبو حيان (ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم فكم حُكم ثبت بنقل الكوفيين من كلام العرب لم ينقله البصريون ، وإنما يعرف ذلك من له استبحار فى علم العربية ...) .

وخلاصة الأمر أن النحويين فى ترك إعادة الخافض المجرور ثلاثة مذاهب:-

---

١ البحر المحيط ج٢ ص٣٨٨ .

٢ انظر البحر المحيط ج٣ ص٥٠٠ .

- لا يجوز إلا بإعادة الخافض إلا للضرورة .
- يجوز مطلقاً.
- يجوز إذا أكد الضمير.

الحجج التى تدعم قراءة خفض (الأرحامِ) كثيـرة وقويـة لا يقابلهـا عنـد الرافضين إلا رأيهم أن الخافض لا يمكن العطف عليه إلا بإعادة الخـافض ، فهـو كالتنوين والتنوين لا يعطف عليه .

فهل تقف مثل هذه الحجة الواهية التى لا يدعمها نقل ولا يقبلها عقل أمـام هذه الحجج القوية التى تدعم قراءة الخفض (والأرحامِ) ومنها :-

- يقول العرب رداً على كيف أصبحت ؟ خير يريدون بخير
- وتقول العرب : الذى ضربتُ زيد ويريدون الذى ضربته زيد
- وتحذف العرب الخافض إذا مر ذكره فيقولون: بمـن تمـرر أمـرر، يريدون أمرر به
- وتقول العرب ما فيها غيره وفرسِه – بخفض السين – ويريدون وغير فرسه
- جاء فى الشعر الكثير من الشواهد – كما سبق بيانـه – غيـر إعـادة الخافض
- جاء فى الذكر الحكيم مواطن – سبق ذكرها – خلت من إعادة الخافض
- نسبة قراءة الخفض إلى الصحابة الأبرار الفضلاء ممـن تلقـوا عـن رسول ا ﷺ إلى التابعين الأخيار الألباء ممن تلقوا من صحابة رسول ا ﷺ

- يمكن اعتبار الواو فى (والأرحامِ) للقسم أى (ورب الأرحـام) ، و أنْ يقسم بما يشاء وعليه يكون الوقف على (تساءلون به) تام وقيل كـاف ، ثم هو تام على معنى (وعليكم بالأرحام فصلوها) [1] .

“ öÏqþTمG ” ŸbIþ5

وقال تعالى : ﴿وقال الشيطان لما قضى الأمر . . . . ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخىّ﴾ إبراهيم عليه السلام آية ٢٢ .

قرأ القراء التسعة بفتح الياء المشددة من (بمصرخى) ، وقرأ حمزة بكسرها.

هى جمع مذكر سالم ، والأصل فيها بمـصرخيين حـذفت النـون لأجـل الإضافة وأدغمت ياء جمع المذكر فى ياء الإضافة فاصبحت (بمصرخىّ) .

أوجه النحو فى ياء الإضافة :-

أنها إذا سكن ما قبلها تحركت هى بالفتح مثل عصاىَ ، وإذا تحرك ما قبلها جاز الفتح أو الإسكان مثل بيتىَ وبيتىْ .

والخفض لالتقاء الساكنين وهما ياء الجمع وياء الإضافة ، فخفـضت اليـاء الأخيرة لالتقاء الساكنين ويجوز فيها الفتح ، منع النحاة الأوائل فى مثل (مصرخى) تحريك الياء بغير الفتح. وردوا قراءة الكسر فمن أقوالهم :-

- قال الفراء ت٢٠٧هـ : (ولعلها من وهم القراء طبقة يحي ١ فإنه قـل من سلم منهم من الوهم) .

---

١ وهو قول يعقوب البصرى ت٢٠٥ والحسن البصرى ت١١٠ وكلاهما من القراء ، انظر المكتفى للدانى ص(٢١٥ – ٢١٧) .

- وقال الأخفش الأوسط ت٢١١هـ : (ما سمعت هذا من أحد من العرب ولا من النحويين) .
- وقال أبو عبيد القاسم بن سلام ت٢٢٤هـ : (تراهم غلطـوا ظنـوا أنّ الياء تكسر لما بعدها) .
- وقال الزجاج ت٣١١هـ :(هذه القراءة عند جميـع النحـويين رديئـة مرذولة ولا وجه لها إلا وجه ضعيف) .
- وقال النحاس ت٣٣٧هـ : (صار هذا إجماعاً ولا يجوز أن يحمل كتاب ا على الشذوذ) ٢ .

والعجيب فى الأمر أن الفراء ت٢٠٧هـ يرد قراءة (بمصرخى) ويجد لهـا فى نفس الوقت وجهاً نحوياً وإليك قوله : (ألا ترى أنهم يقولون لم أره مذُ اليـوم ، ومذِ اليوم ، والرفع فى الذال هو الوجه لأنه أصل حركة مذ والخفض جائز ، فكذلك الياء من مصرخى ، خفضت ولها أصل فى النصب) [3] .

أيد أبو عمرو البصرى ت١٥٤ قراءة الخفض وقال (هى جائزة) وقـال (لا تبالى إلى أسفل حركتها أو إلى فوق) وقال (هى بالخفض حسنة) [4] .

وقال قطرب [5] (إنها لغة فى بنى يربوع يزيدون على ياء الإضافة ياء وأنشد هو وغيره شاهداً على ذلك :-

---

١ يحي بن وثاب ت١٠٣هـ مقرئ الكوفة وشيخ الأعمش عرف بالاتقان ، انظـر معرفـة القـراء ج١ ص٦٢.

٢ انظر البحر المحيط ج٦ ص٤٢٨ ، المزهر ج٢ ص(٤٦٤ – ٤٦٦) إنباه الرواة ج٢ ص٣٦ .

٣ معانى الفراء ج٢ ص٧٦ .

٤ البحر المحيط ج٦ ص٤٢٩ .

٥ أبو على محمد بن المستنير ت٢٠٦ المزهر ج٢ ص٤٦٣ .

قال لها هل لك يا تا فِى　　　　قالت له ما أنت بالمرضى [1]

وقال القرطبى ت٦٧١هـ (فمن كسر فللتقاء الساكنين . حركت إلى الكـسر لأن الياء أخت الكسرة) [2] .

وقال أبو حيان (وهى لغة باقية فى أفواه كثير من الناس إلى اليوم ، يقـول القائل : ما فى أفعل كذا بكسر الياء) ، ثم استشهد أبو حيان ببيت للنابغة : -

علىِ لعمرو نعمة بعد نعمة　　　　لوالده ليست بذات عقارب [3]

بكسر الياء المشددة فى على . ويكفى ثبات كونها لغة ، أو حتى لُغيـة لـم يكتب لها الحظ الوافر من الانتشار ، يكفى ذلك لقبولها فضلاً عن أنها قراءة حمـزة ت١٥٦ الذى لم يقرأ حرفاً إلا بأثر ، وقراءة شيخه الأعمش ت١٤٨ الذى قال عنـه سفيان بن عيينه ت١٩٨ (كان الأعمش أقرأهم لكتـاب ا ، وأحفظهـم للحـديث ، وأعلمهم بالفرائض) [4] ، وقراءة شيخ الأعمش يحي بن وثاب ت١٠٣ الذى كان إمام الكوفة وقارئها فى زمنه ، وقال عنه الذهبى (كان يحي بن وثاب ثقة إمامـاً كبيـر القدر) ، وقد قرأ يحي القرآن على علقمة ت٦٢ آية آية، وقرأ علقمـة علـى ابـن مسعود رحمه ا ت٣٢هـ [5] .

وLjŧYيfقةƥlbɣ ϴمɌɣ وǆdɯlǝƥjll مǆD الماوtlƥ أlpq l ǎJĂ :

---

١ يربوع هو يربوع بن حنظلة بن مالك ، والشاهد من أرجوزه للأغاب العِجْلى سأل امرأة رمز اليها بـ ـ (تا) إن كانت لها رغبة فيه فردت عليه انه ليس بالمرضى والشاهد قوله (فى) ولـم يقـل (فـى) ، انظـر الكشاف ج٢ ص٦٢ ، والبحر المحيط ج٦ ص٤٢٩ .

٢ الجامع لأحكام القرآن المجلد الخامس ص٢٣٥ .

٣ البحر المحيط ج٦ ص٤٢٩ .

٤ معرفة القراء ج١ ص٩٥ .

٥ معرفة القراء ج١ ص(٦٢ – ٦٤) .

ŧƯUوƥ المقاييس الŽdθويh

بعد أن كان رأى الأقدمين قبح عدم إعادة الخافض دفع المتأخرون بـالجواز وبرهنوا على ذلك بأمثلة من (السماع)وبما يقبله العقل والطبع من (القياس) ، وأدت إلى **الÚYŧماq Y‡Ă السماع أlkþ مžD** الاعتماد على المذاهب النحوية ، والذين أيـدوا قراءة الخفض جاءوا بأمثلة كثيرة من القرآن الكريم وأشعار العرب ونثرهم ، فقويت حجتهم ولاقت القبول والترحاب لانتصارها لقراءة متواترة من لدن الحكيم العليم .

وأدت إلى **القTlb Y‡Ă lŧyTƒ** للمـدارس والقواعـد النحويـة ويـشمل التعصب للمدرسة البصرية ، او للمدرسة الكوفية أو التقاء المدرستين فى التعـصب لقاعدة نحوية وذلك أنه لما ثبت تواتر القراءات صار مـن يطعـن فـى القـراءة المتواترة أقرب للكفر .. قال أبو حيان بعد أن انتصر لقراءة (والأرحامِ) بالخفض ، وبعد أن أكثر من ذكر صفات حمزة الزكية وتقواه وتواتر قراءته وشـهادة علمـاء عصره له قال : (وإنما ذكرت ذلك وأطلت فيه لـئلا يطلـع عَمْـرٌ علـى كـلام الزمخشرى وابن عطية فى هذه القراءة ، فيسيئ ظناً بها وبقرائها فيقارب أن يقـع فى الكفر بالطعن في ذلك) .

ولم يتعصب المتأخرون من النحاة لمدرسة نحوية شأن السابقين بل وجـدوا فى القرآن الكريم موئلاً تحصنوا به ، واندفعوا فى ثقة وإيمان يخـضعون القاعـدة النحوية للقراءة المتواترة، فيجدون من الشواهد السمعية نثراً وشعراً والقياسية المبنية على أسس عقلية وعلمية، ما يدعم آرائهم وينتصر للقراءة المتواترة .

ألا ترى أن القدماء من النحويين ردوا قراءة حمزة لعدم إعادة الخـافض ، رغم كثرة الشواهد التى تؤيدها من القرآن الكريم والنثر والشعر ، ورغم أن القرآن قد نزل بقراءة فتح الميم (والأرحامَ) التى توافق الإجماع ، ولم يصغوا إلى صـوت العقل ولم يفقهوا نهج القرآن فى النزول بالذائع من اللغات والأقل ذيعاً .. والعجيب

من أمر تعصبهم أنهم يتخذون الشاهد من الشعر ركناً تقوم به القاعدة النحوية ، ومع ذلك يردون قاعدة أخرى لا تتوافق مع ما قعدوه رغم كثرة شـواهدها المـسموعة والمروية شعراً ونثراً ورغم من صحت عنه من الصحابة والتابعين !!

ولا يظن ظان أن جميع حججهم النحوية بمكان ولكنه التعصب الأعمـى ، وهاهو ابن فارس يضرب المثل بضعف العلل النحوية وهل ذلك إلا لاشتهار هـذا الضعف بين العلماء حتى صار مضرب المثل .

مرت بنا هيفاء مجدولة	تركـيةٌ تنمـى لتركـى
ترنو بطرف فاترٍ فاتنٍ	أضعف من حجة نحوى [1]

ومن أسباب تأجج نار التعصب النحوية ، **اتساع [illegible] و[illegible]** [illegible] ومرونة ألفاظها ، فكل نحوى يقدح الذهن يجد لقاعدته مخرجاً أو أكثر حتى أنهم قالوا : **[illegible]** .

ومن أسباب التعصب ، **[illegible]** البصرية والكوفية لقواعدها النحوية ورد غيرها .. ولعلى أسوق هذه اللطيفة التى تبين مدى تعصبهم :

أبـو العبـاس المبـرِّد (٢١٠ – ٢٨٥) :-

هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر من نحاة البصرة قال عنه السيوطى فـى المزهر (فلم يكن فى وقته ولا بعده مثله) [2] وكنت احتار فى اسمه أهو بكسر الـراء المشددة أم بفتحها؟ بل وجدت فى بعض الكتب جواز الكسر والفتح .. حتى اطلعـت

١الخصائص ج١ص٤٨ وابن فارس هو أبو الحسن أحمد بن فارس مفسر لغوى ت٣٩٥ طبقات المفـسرين ج١ص٦٠

٢ المزهر ج٢ ص٤٠٩ .

على المزهر للسيوطى حيث قال: (لما صنف المازنى [1] كتابه الألف واللام سأل أبا العباس المبرد عن دقيقه وعويصه فأجابه بأحسن جواب فقال له قم فأنـت المبـرد (بكسر الراء) أى المثبت للحق فغيره الكوفيون وفتحوا الراء) ، أيجحدون لمجرد أنه من نحاة البصرة ؟

ومن أسباب تعصب النحويين القدماء [illegible] أو [illegible] وكانت ثقتهم فى النحوى أكثر من ثقتهم فـى القارئ ، ومن أمثلة ذلك قول الفراء الذى سبق ذكره : (ولعلها من وهم القراء طبقة يحي فإنه قل من يسلم منهم من الوهم) ، كذلك توهم ابن جنى إن أبا عمـرو قـرأ باختلاس الهمزة وأن القراء أخطؤا فى السمع فأسكنوا الهمزة وأنهم فعلوا ذلك (مـن ضعف دراية) وقال عن سيبويه الذى مذهبه الإسكان (وهو أضبط لهذا الأمـر مـن غيره من القراء) .

ومن أسباب تعصب النحويين [illegible] .. فولـد عندهم هذا الإبداع وتلك البراعة حالة من العُجب والنزغ والهوى جعلتهم يردون كل ما هو خارج عن نطاق قواعدهم .

واستمر ذلك حتى القرن الرابع الهجرى ثم بدأت قبضتهم ترتخى ، حتى إذا جاء القرن الخامس الهجرى ورسخ المتواتر من القراءات وعـرف وعمـل بـه ، فرضت القراءات المتواترة هيمنتها وصار النحويون يوسعون نطاق قواعد النحو من خلال ما تواتر من قراءات وزاد النحو ثراء بقبول قواعد كانـت لـدى الأقـدمين ممنوعة ، ومن ذلك قوله تعالى على لسان فرعون ﴿ فاطَّلِع إلى إله موسى .. ﴾ غافر ٣٧ ، انفرد حفص بنصب العين (فاطلعَ) والباقون من العشرة برفعها ، قـال أبـو

---

١ هو أبو عثمان بكر بن محمد بن حبيب بصرى وإمام فى اللغة ت٢٤٩ الإعلام ج٢ ص٦٩ .

حيان : (وأما النصب بعد فى جواب الترجى فشيء أجازه الكوفيون ومنعه البصريون .. واحتج الكوفيون بهذه القراءة وبقراءة ﴿فتنفعه الذكرى﴾ فى سورة عبس) [1] .

فبعد أن كان النقد يطال القراءة لأنها أقل انتشاراً أو لأنها لا تتفق مع القاعدة النحوية، أصبح الاحتجاج بالقراءة هو الأساس ، لاسيما إذا وجد لها نظير أو نظائر أخرى من القرآن الكريم وهو الحق ، او النثر أو الشعر أو القياس ، وأصبحت القاعدة النحوية تخضع للآية القرآنية ، فتطورت قواعد النحو ، وزادت الشواهد ، وتفتقت عقول النحويين عن وجوه أخرى للقياس ، ولم يقبل المتأخرون من النحويين ما جاء به الأولون منهم قبولاً مسلماً به ، خاصة بعد أن زالت حمية التعصب ، وانفتح المجال للعقول المسلمة لتُقَعد القواعد النحوية من خلال شواهد القرآن الكريم الذى دعا للتفكير والتدبر وإعمال العقل فبرعوا فى ذلك كثيراً ، لإيمانهم با العظيم، منزل القرآن ، ولقناعتهم ببلاغة القرآن ودقته وسعته الآسرة، وتنوع ثماره الباسقة المثمرة، ولسعيهم لنيل ثواب ا ورضوانه من خلال خدمة كتابه ولغة قرآنه ..

١ البحر المحيط ج٩ ص(٢٥٨ – ٢٥٩) وقد قرأ عاصم بنصب العين وقرأ التسعة الباقون برفعها .

المطلب السادس : فضل علم النحو ودور النحاة الفاعل فى صون اللسان العربي:-

وحرى بى أن أختم هذا الباب بالتأكيد على فضل علم النحـو ودور النحـاة المرموق فى تقعيد القواعد النحوية ، وتثقيف اللسان العربى وحفظـه ، وحرصـهم على درء اللحن وبيان الصواب وتأصيله ..

ألا يكفى لبيان فضل علم النحو أنّ من تعمد ضم تـاء ﴿أنعمتَ عليهم﴾ أو من تعمد فتح تاء ﴿أعوذ بك من شر ما صنعتُ﴾ فقد كفر فضلاً عن فساد المعنى الذى نجم عن وضع حركة مكان أخرى .

ولم ينشأ علم النحو إلا لصون اللسان العربى من الخطأ فى كلام ا .. ومن فضل ا وتيسيره أنْ كان على رأس المدرسة البصرية من النحـاة : أبـو عمـرو البصرى ت١٥٤ ، ويعقوب الحضرمى ت٢٠٥ وكان على رأس المدرسة الكوفيـة الكسائى ت١٨٩هـ وقد عرفوا بالتقوى والصلاح وما كان حبهم للنحو ليغلب حبهم للقرآن .. فهاهو أبو عمرو البصرى يلحن فيما لا يلحن فيه غر فيقول : ﴿فى بيوتً أذن الله أن ترفع﴾ بضم التاء ثم يستدرك ويقول (نعم فى بيوتٌ .. ما هذه الـ(فـى) التى تخفض بيوتا أذن ا أن ترفع .

وأنشده رجل من أهل المدينة : -

إنّ الحوادث بالمدينة قدْ أوجعتنى وقرعن مَرْوتَيَهْ [1]

فانتهره أبو عمرو فقال : (مالنا ولهذا الشعر الرخو ! إنّ هذه الهاء لم توجد فى شئ من الكلام إلا أرخته) فقال له المدينى : قاتلك ا ! ما أجهلك بكلام العرب ! قال ا عزّ وجلّ فى كتابه : ﴿ما أغنى عني ماليه . هلك عنّي سلطانية﴾ الحاقـة

---

١ من قصيدة لابن قيس الرقيات فى رثاء من مات من أهله فى موقعة الحرة .

(٢٨–٢٩) ، وقال : ﴿ يا ليتني لم أوت كتابيه . ولم أدر ما حسابيه ﴾ الحاقة (٢٥-٢٦) فانكسر أبو عمرو انكساراً شديداً [١].

قلت وما كان له أن ينكسر لولا أن الشاهد من القرآن الكريم وهو الذى ذكر له ابن الجزرى عشرين اسماً أصحها زبان . وما ذلك إلا لمهابته التى منعت الناس عن سؤاله عن اسمه[٢] .

وهاهو إمام الكوفة فى القراءة والنحو الإمام الكسائى ت١٨٩ تعجبه قراءته فيتملكه العُجب ، فيخطئ والرشيد يصلى خلفه ، وعن ذلك يحدثنا فيقول : (صـليت بالرشيد فأعجبتنى قراءتى فغلطت فى آية ما أخطأ فيها صبى قط ، أردت أن أقـول (لعلهم يرجعون) فقلت (لعلهم يرجعين) قال فوا   ما اجترأ الرشـيد أن يقـول لـى أخطأت ، ولكنه لما سلمت قال لى : يا كسائى أى لغة هذه ، قلت يا أمير المـؤمنين قد يعثر الجواد ، قال أما فنعم) [٣] .

وأحسب تلحين النحاة للقراءات كان اجتهاداً ولكن ألـسنة بعـضهم كانـت حداداً، ذهبوا وبقى حصاد ألسنتهم فقد وقفنا على قولهم للقـراءة القرآنيـة (ليـست بنيرة) ، وا   تعالى يقول: {وأنزلنا إليكم نوراً مبينا} النساء ١٧٤ ، وقال تعـالى : ﴿ ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء ﴾ الشورى ٥٢، وقالوا : (فيه قـبح .. وهـو قبيح) ، وقالوا : (رديئة ومرذولـة) ، وقـال تعـالى :﴿ الله نزل أحسن الحديث ﴾ الزمـر٢٣ ، وقـال تعـالى : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا

---

١ انظر الخصائص لابن جنى ج٣ ص٢٩٣ .

٢ والذي ذهب إليه أبو عمرو لمّا سمع شعر ابن قيس الرقيات من أن هاء السكت أضعفت الكلام لم يخلُ من الصواب ، فالشاعر كان في حالة حزن وانكسار محسن استعمال هاء السكت ، وكذلك حال الكافر يوم القيامة كما في سورة الحاقة .

٣ منجد المقرئين ص٧ .

القرآن﴾ يوسف عليه السلام ٣ ولم يقل بما أوحينا إليك هذه السورة فـالقرآن كلـه حسن ويجب التأكيد على أن علم النحو معدن نفيس قيِّم ، علقت به فى أطوار نمـوه بعض الشوائب من تعصب لوجه نحوى ، أو لمدرسة نحوية بعينهـا ، أو لنحـوى مبدع، أو لهوى نفس أو لقصور علم ، ولم يكن الأوائل من النحويين ومـن تـبعهم على علم بالمتواتر من القراءات وظنوا أنّ النحوى أشد كفاءة من القارئ وانتصروا لقواعدهم النحوية ، وفضلوها على التلقى ، رغم كفاءة المتلقين وأمانتهم وورعهـم وخشيتهم ، واتصال سند قراءتهم برسول ا ﷺ ..

وكان لابد لعلم النحو ذلك المعدن النفيس أن ينصهر ، وتـذهب شـوائبه . فقيض ا من النحويين والمفسرين من تجردوا لصهره فى نور المعرفة ونارهـا ، ثابروا وصابروا ورابطوا، واتقوا ا فعلمهم ا ، وأْتَموا بالشواهد القرآنية وحشدوا لها من النصوص السمعية ، والعلل النحوية ، ما يشد أزرها ، ويظهر قدرها متفيئين ظلال لغة الضاد ، ذات الظل الوارف الممدود ، والمنهل الجم المورود .

فتعقبوا الشواهد وجمعوا الشوارد من لغة لا ينضب معينها ، ولا يحيط بهـا إلا محمد الأمين ﷺ ، رسول رب العالمين ، فذهب الزبد جفاءً ، وازداد علم النحـو منعة ومضاءً ، وغشيته مسحة من نور القرآن وشواهده فـصفا نـوره ، وقـوى حضوره .

وارتفع صوت الثوابت واثقاً راسخاً مهيمناً ومن ذلك الاعتماد على التلقـى الصحيح:-

(وأئمة القراء لا تعمل فى شئ من حروف القرآن على الأفشى فـى اللغـة والأقيس فى العربية ، بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل والرواية إذا ثبت

عنهم لم يردها قياس عربية ، ولا فشو لغة لإن القراءة سنة متبعـة يلـزم قبولهـا والمصير إليها) [1] .

ومن ذلك شد أزر القراءة بقراءة أخرى فى مثل قولـه تعـالى : ﴿وسيعلم الكفر لمن عقبى الدار﴾ إبراهيم عليه السلام ٤٢ ، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتوحيد (الكفر) والحجة: قوله تعالى:﴿ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا﴾ النبأ ٤٠ [2].

ومن ذلك التغليظ على من يرد قراءة متواترة كقول الزمخشرى عن قـراءة ابن عامر فى الفصل بين المتضايفين ﴿وكذلك زُين لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائِهم﴾ [3] الأنعام ١٣٧ . قال الزمخشرى : (والفصل بينهما بغير الظرف فـشئ لــو كــان فــى مكــان الــضرورات وهــو الــشعر لكــان ســمجاً مردوداً.) [4] ، فرد عليه أبو حيان فى البحر (وأعجب لعجمى ضعيف فى النحو يرد على عربى صريح قراءة متواترة موجود نظيرها فى لسان العرب فى غير ما بيت. وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب ا شرقاً وغرباً ، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم.) [5]

وهكذا هيمنت القراءات المتواترة . وكان لابد للنحو من أن ينمو ويتطـور مستدفئاً بشموسها الساطعة ، متنعماً بوابلها الراحم ، متفيئاً ظلالها الوارفـة ، ومـا

---

١ العبارة للإمام أبى عمرو الدانى انظر النشر ج١ ص(١٠- ١١) .

٢ حجة ابن زنجلة ص٣٧٥ .. وأورد ابن زنجلة قول أبى عمرو البصرى بأن الكافر فى الموضعين هـو أبو جهل ، ويصح الإفراد على الجنس أى كل من كفر .

٣ برفع القتل ونصب الأولاد وجر شركائهم .

٤ الكشاف ج٢ ص٧٠ .

٥ البحر المحيط ج٤ ص٦٥٨ .

كان لبيت من الشعر قد يكون مجهولاً أو منحولاً أن يقف نداً لآيـة مـن الكتـاب الحكيم.

وكتب النحو واللغة والتفسير تزخر بعلم وافر جزيل يحكى التطـور الـذى شمل النحو فى رحلة عودته للقراءة المتواترة حيث ألقى عصا الترحال مسلماً قانعاً، مستبشراً بعوده الحميد ، مُمَحصاً من الهوى والعَجب والـشوائب ، قـادراً علـى الاطلاع بدوره الرائد الصائب فى صون كلام ا ولغة قرآنه وذهب زبـد الـذين لحنوا القراءات جفاءً ، وبقيت القراءات لتنفع الناس بتيسير من ا وفضل ورحمة..

واختم بآيتين وحديث ، ولطيفة تدور جميعها فى فلك العلم :-

قال تعالى: ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ البقرة (٣١ – ٣٢) .

هاتان الآيتان جمعتا فوائد جليلة منها :

معرفة قدر المخاطب وتوقيره ، والإقرار بالجهل لدى حصوله ، ورد كـل علم وفضل وحده .

قال أبو حيان ت٧٥٤ : (فانظر إلى حسن هذا الجواب كيف قدموا بين يديه تنزيه ا ، ثم اعترفوا بالجهل ثم نسبوا إلى ا العلم والحكمة وناسب تقديم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة . انتهى كلامه) [1] نزهوا ا بقولهم (سبحانك) وأقـروا بجهلهم بقولهم (لا علم لنا) وردوا العلم والحكمة بقولهم (إنك أنت العليم الحكيم) ، ولما كان المقام مقام العلم تقدم لفظ العليم على لفظ الحكيم.

---

١ البحر المحيط ج١ ص٢٣٩.

قلت فإذا عَلِم الإنسان أن كل نعمة هو فيها من عِلمٍ وغيره إنما هى من عند ا وألاّ حول ولا قوة إلا با حينئذ يمضى حثيثاً على طريـق الرَشَـد والتوفيـق والصلاح ، وكلما وقرت تقوى ا فى قلبه زاد علمه ، ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ البقرة٢٨٢ فتقوى ا هى الوازع الذى يمنع العالم من محابـاة أصـحاب النفـوذ، وتجعله ينفق من علمه ابتغاء مرضاة ا ، وتقوى ا هى المجنة التى تحول بـين العالم وبين حسده لإخوانه العلماء أو غمض حقهم وجحد فضلهم وعلمهم .. وتقوى ا تذكرة يقظة تدوى فى أعماق الكبرياء أنّ: ﴿ وفوق كل ذى علم عليم ﴾ يوسـف عليه السلام٧٦ وأن احذر :﴿ قال إنما أوتيته على علم بل هى فتنة ﴾ الزمر٤٩ .

ومن فوائد الآيتين أن ا سبحانه وتعالى رفع من قـدر آدم عليـه الـسلام وأعلى شأنه بالعلم ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ ... ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ وليت النحـاة تدبروا هاتين الآيتين إذن لكفُّوا أنفسهم وغيرهم الكثير .

وأما الحديث [١] فهو فى الصحيحين عن أُبي ابن كعب عن النبى ﷺ : (قـام موسى النبى خطيباً فى بنى اسرائيل فسُئل أى الناس أعلم قال : أنا أعلمُ . فعتب ا عليه إذ لم يرد العلم إليه . فأوحى ا إليه أن عبداً من عبادى بمجمع البحرين هـو أعلم منك ...) وهو جزء من حديث طويل يحكى رحلة رسول ا موسـى عليـه السلام ولقاءه بالخضر عليه السلام وما تعلمه من خلال تلك الرحلة .

وللحديث فوائد عديدة منها :

أن ا عاتب موسى لأنه لم يرد العلم إليه ويقول (ا أعلم) ، ومنها أن من سُئل عن شئ لا يعلمه فليقل لا أعلم ، فإن رسول ا ﷺ قال لمن سـأله أى البقـاع

---

١ أخرجه البخارى فى كتاب العلم باب ما يستحب للعالم إذا سئل أى الناس أعلم فيكل العلم إلى ا انظـر اللؤلؤ والمرجان ج٣ ص(١٢٠ - ١٢٢)

شر؟ [قال لا أدرى حتى أسأل جبريل، فسأل جبريل فقـال: لا أدرى حتـى أسـأل ميكائيل، فجاء فقال خير البقاع المساجد وشـرها الأسـواق] [1] ، وكـان ذلـك دأب الصحابة والسلف الصالح .. وهاهو على رضى ا عنه يقول : [(وأبردهـا علـى الكبد) ثلاث مرات قالوا : ما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أن يسأل الرجل عمـا لا يعلم فيقول لا أعلم.] [2]

وقال ابن وهب المصرى صاحب مالك ت١٧٩ : (سمعت مالك بـن أنـس يقول ما فى زماننا أقل من الإنصاف).

وقال القرطبى ت٤٦٢ معلقاً على قول مالك رضى ا عنه : (هذا فى زمن مالك فكيف فى زماننا اليوم الذى عم فينا الفساد وكثر فيه الطغام ، وطلب فيه العلـم للرياسة لا للدراية بل للظهور فى الدنيا وغلبة الأقران بالمراء والجدال الذى يُقَـسى القلوب ويورث الضغن وذلك مما يحمل على عدم التقوى وترك الخـوف مـن ا تعالى [3] .

قلت فما نقول عن زماننا !! ثم أما كان فى هدى الرسـول ﷺ : (لا أعلـم) مفازة للنحويين مما أقحموا أنفسهم فيه .

ومنها الحض على شد الرحال لطلب العلم فهاهو موسى كليم ا ورسـوله يعلم أن فى الأرض من هو أعلم منه ، فيسافر ليتعلم منه ويلاقى فى سفره النـصب والتعب فلا يبالى ويمضى فى رحلته لطلب العلم .

---

١ الحديث فى المسند الصحيح للبسنى عن ابن عمر ، انظر الجامع لأحكام القرآن المجلد الأول ص١٩٦ .
٢ المرجع السابق ص١٩٦ .
٣ المرجع السابق ص١٩٧ ، وابن وهب هو أبو محمد المصرى صاحب مالك ففيه حـافظ عابـد ت١٩٧.
والطغام : ارذال الناس وأوغادهم .

لطيفة :

وفحواها أنّ موسى لام الخضر – عليهما السلام – فى ثلاثة أعمال ما كان له أن يلومه عليها ، ذلك أنّ موسى عليه السلام فعل مثلها فى حياته !!

لامه على خرق السفينة مخافة غرق أهلها ، ونسى حفظ ا لخلقه ورحمتـه بهم . أما حفظه ا حينما وضعته أمه فى التابوت وحيداً رضـيعاً يتقاذفـه المـوج فتداركته رحمة ا ؟!

ولامه على قتل الغلام ، ونسى موسى عليه السلام أنه وكز القبطي فقـضى عليه .

ولامه على إقامة الجدار من غير أخذ أجرة عليه ، ونسى موسـى عليـه السلام أنه سقى غنم شعيب محتسباً الأجر عند ذى الطول العليم القدير [1] ..

وقال الرسول ﷺ كما فى آخر حديث البخارى عن أبي رضـى ا عنـه : (يرحم ا موسى ، لَوَدِدْنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما.) [2]

(سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا) ولا كتاب لا ريب فيه إلا كتابك ، اللهـم تجـاوز عـن عثراتنـا واغفـر زلاتنـا ، وتقبـل أعمالنـا واجعلهـا خالـصة لوجهك الكريم ، منزهة من الشرك والرياء والسمعة والعُجب . أنت ولينا فى الـدنيا والآخرة توفنا مسلمين وألحقنا بالـصالحين .. وآخـر دعوانـا أنْ الحمـد رب العالمين..

!ϸﻠﻟا ηﻬﻓ Ďﻣ üﻮﻟ bRﺠﻟا ĂЍﺸﻟا Ljﻟﻮﻳ Ŷﻟ ơﻤϴ

Ǐﻟﻜﻟا bRﺠﻟا Ljﻴﻬﻳ

---

[1] بتصرف من عرائس المجالس للثعلبى : أبي إسحق بن محمد النيسابورى ت٤٢٧هـ .

[2] اللؤلؤ والمرجان ج٣ ص١٢٢.

فهـــــرس المحتويـات

عlɋيǗl !ƽƥ

!čċċĐ/ĔĎč

ɦYlǴƲǂJ ɋlɋالسـ ƥlɋ : ǅوƴǴlƲJl

čĎĎĎĒč-ēĎ :فاكس ēĎ-čĎĎĎĒČ :øł